المقتطف

الجزء الثاني من المجلد التاسع والتسعين

١ يوليو سنة ١٩٤١ — ٩ جماد الثاني سنة ١٣٦٠

هذه الحرب العظيمة

بين الحرب الحاضرة والحرب العظمى الماضية وجوه شبه ووجوه خلاف

أما وجوه الشبه فأهمها انقسام القارة الأوربية الى معسكرين احدهما ترأسهُ المانيا والآخر ترأسهُ بريطانيا وانضمام الولايات المتحدة الأميركية الى احد المعسكرين ونصرتها لهُ على المعسكر الآخر وامتداد نار القتال الى القارة الأفريقية والقارة الأسيوية وقيام حرب الغواصات في الحربين وما حدث في هذه الحرب من خذل فرنسا لحلفائها على نحو ما صنعت روسيا في الحرب الماضية واتفاق المانيا مع الدولة الخاذلة في الحالين

أمددت وجوه الشبه فهل تشمل نتيجة هذه الحرب فتكون كنتيجة الحرب الأخرى

أما وجوه الخلاف فكثيرة العدد وفي مقدمتها زيادة اشتراك الشعوب في الصراع اشتراكاً تجلى في الحرب الماضية ولكنه لم يبلغ المبلغ الذي بلغه في هذه الحرب . فالشعوب فيها تكاد تكون كأنها في ميدان النزاع والقتال . وحسبالمرء ان يشير الى عدد القتلى والجرحى المدنيين في البلاد البريطانية فقد جاوز عدد القتلى من سكان المدن والقرى ستين الفاً في أقل من عام ولم يسمع بمثل هذا في الحرب الماضية في بلاد بعيدة عن حومة الوغى كالجزر البريطانية

ومن أهم وجوه الخلاف مقام الطيران في الحربين فقد كان للطيران شيء من الشأن في

الجانب الاخير من الحرب الماضية . أما في الحرب الحاضرة فقد صار له مقام خاص جعله أهمّ الأسلحة الثلاثة

ويضاف الى الطيران الاكثار من استعمال الآلات الأرضية لتحل محل الفرسان والجند وتدفع بقوة الزيت بما أفضى الى تبدل عظيم في الحرب فقلّ التحام الجند وصار التنافس والتناحر لآلات الحديد والفولاذ

ففضي بذلك على حرب الخنادق وحل محلها الحرب الخاطفة المرموز لها بالطائرات والدبابات والسيارات المدرعة

فالأمة التي تكثر آلات الحرب والجلاد فيها تكفل الفوز ولا سيما اذا أعدّت من الرجال من يحسن استعمال هذه الآلات

ومن الفروق التي لها شأن خطير ما تريده الدولة الألمانية من تحويل اوربا أولاً وسائر اقطار العالم بعدها في اتجاه خاص سمّوه النظام الجديد وقال عنه خصومه في وصفه انه قسمة الخلق الى قسمين فقسمٌ سيد وقسمٌ مسود . وقد أنشأ الالمان بهذا النظام في نفوس انصاره والمؤمنين به حمية تشبه حمية أنصار كل دين جديد فتراهم يلقون أنفسهم في حضن الموت غير مبالين بما يصيبهم ما داموا مجاهدون في سبيل ادراك الغاية العظمى التي وضعها قادتهم وجعلوها هدفاً لجهودهم وهو ما يضاف الى شهوة الفتح وحب التملك وهما اللذان كانا رائد المعتدي في الحرب الماضية ولا يزالان كذلك في هذه الحرب

يقابل هذا النشاط ما هو مشهود في موقف الفريق الآخر من التزام الصادق على صون قواعد العقائد الاجتماعية والسياسية التي يدين بها وتصميمه على الدفاع عنها الى النهاية

ويطول بنا المقام اذا حاولنا استيفاء جميع وجوه الشبه وجميع وجوه الخلاف في هذا الصراع بين ما حدث في الماضي غير البعيد وما هو حادث الآن

***

ويحار المرء في العوامل التي أوصلت العالم ولا سيما أوربا الى الموقف الحالي بعد الحرب الماضية وبعد عقد معاهدات الصلح وانشاء جامعة الأمم

فقد عمدت المانيا من نحو عشرة أعوام الى التسلح الكثير بمرأى ومسمع من الدول التي

فورتها في الحرب الماضية وهي بين الدول التي شهدت مثل هذا الامر في عصر نابليون فانه بعد ما قهر روسيا وجرّدها من سلاحها حظر عليها تأليف جيش مسلح فلم تفتأ الأمة الروسية تنشيء جمعيات الألعاب الرياضية للشبان وتستتر وراءها لاعداد جيش حتى كان لها ما شاءت وقاتل جيش بلوخر البروسي الى جنب جيش ولنتن البريطاني في معركة ووترلو التاريخية التي أفل فيها كوكب سعد نابليون

ومثل هذا جرى في الحقبة الاخيرة بعد صلح باريس فقد عمدت المانيا الى السلاح وكانت تصنع السلاح الجديد الكثير في الحين الذي كان فيه المستر هندرسن الوزير الاشتراكي البريطاني يرأس ما سموه مؤتمر نزع السلاح

ولا يسع الدول التي تحارب المانيا اليوم أن تزعم أنّ ما كانت المانيا تصنعه من هذا القبيل كان عليه محجوباً عنها فأمامنا ونحن نكتب هذه السطور مقال للمستر ونستن تشرتشل نشرت ترجمته في المقطم في سنة ١٩٣٥ وفيه ينبه هذا القطب السياسي العظيم قومه وحلفاءهم الى الخطر الذي يعد لهم وراء نهر الرين ليدهمهم في المستقبل غير البعيد

وما برح المستر تشرتشل يقرع أسماع قومه بمثل هذه الاقوال وخصومه السياسيون يحاولون ايكاته بدعوى أنه يهيج الخواطر بغير مسوغ الى ان وقعت الواقعة وجاءت الحوادث مؤيدة لما أنذر به

***

لكن أيحتمل أن يحقق حلم الهر هتلر أو يكون نصيبه كنصيب نابليون

ان رحى الحرب الدائرة في روسيا الآن تدل على أن أداة الحرب الالمانية لا تزال قوية جداً وأن الألمانيين لا يزالون يواجهون الموت بقيادة زعيمهم بغير وجل وهم كثيرو العدد وقد رأيناهم في بلاد اليونان وكريت يهاجمون أعداءهم صفاً وراء صف فاذا باد الصف الاول حل الصف الثاني محله وهكذا الى أن يحل الاحياء بأعدائهم الذين يواجهونهم أو تفرغ ذخيرتهم فيضطروا الى الفرار

ولكن يلوح للقارىء أنّ هناك سرّاً خفيّاً وقوة كامنة تحمي الحضارة والاّ فما الذي منع الهر هتلر بعد انهيار فرنسا كدولة مجاورة من أن يواصل قتال بريطانيا بعد معركة دنكرك وضياع العتاد الانكليزي وأسر عشرات ألوف من رجال الجيش البريطاني الباسل وما الذي منعه من

الاغارة على الجزر البريطانية قبل أن تستوفي الدولة البريطانية استعدادها وقبل أن تهب اتولايت المتحدة الاميركية لنصرتها بالهمة التي عجلت بها فيما بعد

ان هذه الفترة التي تلت نهر فرنسا غيرت سير الحرب ومصيرها حتماً فقد شهد الناس طرًّا كيف ان قوة بريطانيا الجوية أخذت تزيد زيادة مطردة بمعونة اميركا حتى صار في طاقة البريطانيين أن يغيروا اغارات ليلية كبيرة مستمرة على المناطق الصناعية في المانيا ويمطروها وابلاً من قنابلهم توشك أن تشل تلك الصناعات

* * *

وهنا يبدو لسان فضل الأسطول البريطاني ورقية سلطانه على البحار فالقنام ليضيق بنا اذا حاولنا احصاء فعال هذا الأسطول الظاهرة والخفية فانه علاوة على حصر المانيا ومنع وصول المواد الاولية ومراد الطعام اليها حال دون حركتها العسكرية في غير البر وأيد ما قاله الاميرال ماهان القائد البحري الاميركي المشهور وهو ان الفوز في الحروب لصاحب السيادة على البحر

* * *

وربما كان تحول المانيا عن القتال في الميدان الغربي الى القتال في الميدان الشرقي من أسطع الأدلة على شعورها بالحيبة التي عرتها بعجزها عن غزو بريطانيا وتحقيق ما وعدها به الهر هتلر

ان الذين يذكرون في بدء الحرب ما قالهُ الهر هتلر عن اعتماده على نفسه ودولته دون سواهما في الحرب يعلمون الآن أنه دعا ايطاليا فيما بعد الى معونته فكانت هذه الدعوة سبباً في ما أصاب الايطاليين في قارة افريقيا وضياع امبراطوريتهم فيها

ثم عمد الهر هتلر الى استمالة فرنسا اليه حتى لقد قال الاميرال درلان أن المانيا لا تستطيع تحقيق النظام الجديد من غير عون فرنسا

وفي الواقع ان الهر هتلر لم يقصد من فرنسا أن تعينهُ على تطبيق قواعد النظام الجديد بل قصد أن تخرج عن قواعد المدنية وتسفهُ بأسطولها وبواخرها وموانئها وقواعدها العسكرية في شمال افريقيا وغربها لمقابل القوة التي برزت للقائه من القارة الاميركية

نعم أن اميركا لم تنزل الى الميدان بعد ولكنها تصنع في ما سوى ذلك كل ما يصنعه المحارب

بقي هناك عنصر آخر يجب التنويه به وهو ان سير الحضارة من أقدم العصور الى هذا هو في اتجاه يناقض الاتجاه الالماني او النازي فقد اتجه البشر تدريجاً الى الخلاص من ربقة الاستعباد والتمتع بالحرية الفردية وحرية المجموع على قاعدة التعاون وليس من المستطاع لمرجع الحضارة التقهقري في سيرها هذا رجل ما يستطاع وقف السير فترة من الزمان تطول أو تقصر بمدى فعل القوى التي تصدمها

***

والذين طالعوا تاريخ بولبون رأوا أنه كثيراً ما تاق الى السلام ليتمتع بثمار انتصاره فكان يضطر الى الحرب رغماً عنه في صون ما أحرز وظل هذا ديدنه حتى سقط بالسيف الذي طالما انتصر به

ويلاحظ ان المانيا لا تفتأ تنتقل من حرب الى حرب فالى نحو شهرين ما كان يخطر لأحد — اذا استثنينا أمثال ونستن تشرتشل من المطلعين — أن الحرب يمكن أن تقع بين المانيا وروسيا وقد عدها الناس صديقين حميمين بينهما اتفاق وميثاق وصلات اقتصادية كادت تستر ما بينهما من خلاف في العقيدة الاجتماعية حتى قبل للناس أن الهر هتلر « لحس » ما دوّنه في كتابه عن هذه الشيوعية التي عدّها خطراً عظيماً على أوربا وسائر العالم

ثم كانت المفاجأة التي أدهشت الناس والتي عقبها قصف المدافع وأزيز الطائرات في جو روسيا الحمراء

وقد يطول زمان الحرب وتعود فتنتقل من الميدان الشرقي الى الميدان الغربي وتعظم الخسارة في الارواح والاموال والسفن التجارية وترهق الشعوب المغلوبة على أمرها ولكن هذا كله سيصبح في خبر كان بعد زمان غير بعيد ويكتب الفوز للحضارة الصحيحة وتكون هذه الحرب بلاياها ورزاياها عبئاً للبشر على ما في حضارتهم من خطأ وظلم وما في نظمهم الاجتماعية من فساد يجعل طبقات كثيرة في أعظم الأقطار خصباً مناتجاً لمآسي الفاقة والمرض والضنك في عالم كثير الخير وافر النعم في ظل ما يتبجحون به من حرية وتعاون اوحرية ومساواة واخاء شعاراً ينادون به ولا يعملون بموجبه

ولا تنتهي مشكلة الحرب بوضع أوزارها فقد ظل العالم يعاني عواقب الحرب الماضية حتى لشبت الحرب الحاضرة بل عجز عن تخريج طائفة من أزماتها وحل جانب من عقدها وتبين

لعلاً ان جنسنا كثيراً من الوسائل التي توسلت بها الدول الظافرة لاصلاح ما أفسدته الحرب لم يخب بالمرام بين جميع الأمان التي عقدت به حتى لقد قيل أن الحرب الحاضرة انما هي وليدة الخطأ الذي عقب الحرب الماضية

فلا غرو اذا رأينا أقطاب الشعوب ينظرون من اليوم ويبحثون من الآن في ما تكون عليه الحال بعد الحرب الحاضرة وما يتعين الاضطلاع به لتسيير العالم في طرق النظام والعمل واجتناب الكوارث التي تعقب الخسارة العظيمة التي يمنى بها بفعل القتال والدمار الشامل الذي يزيد زيادة مطردة

أما الألمانيون فدعوا الى هذا النظام الجديد الذي وضعهُ الهر هتلر في كتابه والذي تأباهُ الشعوب الحرة لأنهُ يضعها في مراتب تأبى ان تكون فيها فقد تمتعت بالحرية والكرامة قروناً فلا يسعها ان تنسى هذا كلهُ وبينها من قال انا نؤثر الموت وقوفاً على أقدامنا على الحياة راكعين على ركبنا

يقابل هذا النظام النازي النظام الآخر الذي تدعو اليه الشعوب الحرة وفي مقدمتها بريطانيا والولايات المتحدة ومعهما جمهوريات أميركا الجنوبية وبلدان الدومنيون والهند وهو النظام الذي وافق عليه ممثلو الحلفاء جميعاً ومعهم مندوبو فرنسا الحرة في المؤتمر التاريخي الذي عقد في يوم ١٢ يونيو الماضي في قصر سانت جايمس في لندن

وفي الواقع ان مشكلات السلم قد تكون أعقد من مشكلات الحرب في الحرب توجه القوى في اتجاه واحد لأجل ادراك غرض واحد . أما في السلم بعد الحرب فيواجه المسؤولون مئات وألوفاً من المشكلات لاعادة أداة العالم الى موقفها السابق وتحويلها لتستطيع العمل الذي كفت عنه كذا شهوراً وسنوات

أما كيف يخرج العالم من هذه النار التي تصهره صهراً فشيء لا يستطاع التكهن به الآن ففي بدء الحرب الماضية قال السر ادورد جراي وزير الخارجية البريطانية في ذلك العهد ان الحرب الاوربية سيتلوها نهضة اشتراكية عظيمة فكان ما قال بدليل ما حدث في روسيا وايطاليا — قبل الفاشستية — وفرنسا وبريطانيا — فهل من يتنبأ لنا بما تكون الحال بعد هذه الحرب من الوجهات الاجتماعية

محطة الاحياء البحرية

بالغردقة

حامد عبد الفتاح جوهر
مدير محطة الاحياء المائية بالغردقة (١)

كانت الغردقة الى عهد قريب نقطة خاملة لا يعرفها أحد ، اللهم الا نفر من بحارة العرب أغلبهم من قبيلة جهينة . عرفوها لمرفئها الطبيعي الجميل ، وقد حفته سلسلة من الجزائر والشعاب المرجانية فجعلته صالحاً لرسو السفن حتى ما يبلغ منها عشرة آلاف طن أو يزيد

وقد أطلق عليها هذا الاسم لشجة الى نبات ملحي يكثر على شواطىء البحر الأحمر ويعرف بنبات الغرقد واسمه العلمي Nitraria tridentata . كانت تشرف منه على مرفأ الغردقة أيكة (shrub) كبيرة فكان اذا حدث بحار صاحبه قال له مثلاً « لتقابل عند الغردقة » أو « كنت أصيد في جونة الغردقة » وهكذا حتى أصبحت علماً لذلك المرفأ . وحرفت في العربية الدارجة فأصبحت الغردقة ، كما حرفت الافرنجية فأصبحت حرجدة Hurghada ثم اطلقت هورجادا

وظلت الغردقة مهملة حتى كشفت الحكومة على وجود طبقات بها تحتوي على زيت البترول فعهدت الى شركة الزيوت المصرية الانجليزية باستغلاله في سنة ١٩١٢ . وبذلك بدأت أهمية الغردقة . وانشأت فيها قرية صغيرة يصلها بالسويس خط بحري منتظم يبلغ طوله نحو مائة وثمانين ميلاً بحرياً . ثم لم تمض بضع سنين حتى مهد طريق صحراوي يصلها بقنا طوله مائتا كيلومتر . ومنذ نحو عشر سنوات مُدَّ طريق بري بينها وبين السويس على طول الساحل الغربي من خليج السويس ، يبلغ طوله ثلاثمائة واثنين وثمانين كيلومتراً

(تاريخ انشاء المحطة) أما تاريخ المحطة نفسها فيرجع الى عام ١٩٢٨ ، حين فكرت كلية العلوم في إقامة محطة لدراسة الأحياء التي تعيش في البحار المصرية . وكان عليها أن تفاضل بين البحرين الأبيض والأحمر . ولأسباب سوف أبينها بعد ، وقع الاختيار على البحر الأحمر . درست كلية العلوم المشروع وأعدت رحلة لانتقاء أنسب بقعة لاقامة المحطة . وكاد يخنق المشروع

(١) محاضرة القيت في المؤتمر السنوي الذي عقده المجمع المصري للثقافة العلمية

لتعذر وسائل التنقل في البحر لدى الجامعة ، لولا ان تفضل جلالة المغفور له سالكي الخالد فؤاد فوضع تحت تصرف الجامعة اليختين البخاريين « قوله » و « سفاريا »

وفي يناير سنة ١٩٢٩ أبحر على اليخت « قوله » هيئة من أساتذة الكلية زارت بعض الموانئ والجزر بالبحر الأحمر

(انتقاء الموقع) كان لا بد أن تتوفر في المكان الذي ينتخب لاقامة المحطة بضع شرائط :—

اولاً — وفرة مادة الطعمة من الأحياء البحرية وسهولة الحصول عليها

ثانياً — تنوعها

ثالثاً — بُعدها عن عبث الانسان او أي عامل آخر يمكن ان يؤثر في معيشتها الطبيعية

رابعاً — توفر اسباب الحياة للباحثين وخصوصاً في ساحل قفر مثل ساحل البحر الأحمر

خامساً — سهولة المواصلات بين القاهرة والمحطة

سادساً — وجود مرفأ طبيعي للقوارب الصغيرة التي تستعملها المحطة في بحوثها

وقد اكتملت هذه الشرائط أو كادت في جهة الغردقة . فانتخبت مكاناً لمحطة نقطة تبعد نحو عشرة كيلومترات من مرفأ الغردقة نفسها . وبدىء في إقامة المحطة سنة ١٩٣

***

قد يسأل سائل : لماذا عنيت كلية العلوم كل هذه العناية بالاحياء البحرية وما الذي حدا بها الى ان تجيد كل هذا الجيد في إقامة محطة كهذه في أقاصي الحدود ؟

والواقع ان كلية العلوم إنما سايرت في ذلك التقدم العلمي الحديث ، ونهجت نهج أمهات الجامعات التي رأت من واجبها أن تعنى بدرس البحار التي تغطي أكثر من ثلثي سطح المعمورة عنايتها بدراسة اليابسة . وقد عنيت بذلك الامم المتحضرة منذ زمن بعيد ، فبعثت بعلمائها في بعوث علمية يجوبون البحار ، ويسبرون اغوارها ، ويحللون ماءها ، ويلاحظون تياراتها ورياحها ، ويجمعون احياءها . حتى اذا عادوا بعد ذلك الى بلادهم ، عكفوا هم وغيرهم من أترابهم على دراسة ما جمعوا من معلومات ونماذج . ومن أهم هذه البعوث ما قامت بها البواخر Meteor, Discovery, Sibuga, Challenger, Magnaghi, Pola وأحدثها الرحلة الانكليزية الى الحاجز المرجاني الأعظم ، ثم رحلتا الباخرة المصرية « مباحث » في المحيط الهندي سنة ١٩٣٣—١٩٣٤ وفي البحر الاحمر سنة ١٩٣٤ — ١٩٣٥

وضعت هذه البعوث الأسس الأولية لعلم الاقيانوغرافيا أو علم دراسة البحار ، كما أماطت اللثام عن حقائق كثيرة في تخطيط البحار ، وتركيب مياهها ، وتوزيع الحرارة والاحياء فيها .

ولا تزال حاجتنا ماسة الى الاكثار من هذه البحوث لنكشف مجاهل البحار لكنه مع ذلك لا تتمكن هذه البحوث التي تدل عادة على ظهر سفن صغيرة خفيفة ، الى تقرير دراسات كمية عن تركيب الأحياء ، او طرق حياتها ، ووظائف اعضائها وتكاثرها ، وانتشارها في فصول السنة وما الى ذلك . ولهذا الغرض أقيمت المحطات العلمية على شواطىء البحار حيث يمكن دراسة الأحياء المختلفة في الأكواريوم (السمك اي) ، ومراقبتها مراقبة دقيقة ، ومتابعة جميع ما يطرأ عليها سواء من جهة التشريح أو وظائف الأعضاء ، أو أثر البيئة فيها وغير ذلك . كما يمكن ايضاً دراسة جميع الظواهر البحرية ، كالتيارات المائية والرياح ، وتغير درجات الحرارة والمد والجزر ، والأحياء المعلقة بالماء والسابحة فيه ، وما الى ذلك . وقد تم إنشاء المحطات البحرية تطور كبير في علم الحياة بنوع خاص ، فان الأحياء البحرية إذا قورنت بنظائرها في البركات في المكان الأول من الأهمية

وترجع أهمية الأحياء البحرية الى الخواص الممتازة التي يتمتع بها ماء البحر . فليس للغواز المنتشرة على سطح المعمورة ما هو أكثر منهُ ملاءمة للحياة في أشكالها المختلفة — لذلك نجد جميع أقسام الأحياء ممثلة في البحار ، بينما يقتصر قسم أو قسمان منها على البحر دون البر أو الماء العذب وهذه هي الحيوانات شائكة الجلد (الشوكيات) Echinodermata والبكديات Otenophora وزيادة على ذلك فاننا نجد في البحر أبسط الأنواع من كل القبائل تقريباً ، مما حدا بعلماء التطور الى الرجوع الى الأحياء المائية لتدعيم نظرياتهم . كل ذلك يرجع الى الخواص الفزيائية والكيميائية الهامة التي تميز ماء البحر والتي لا مجال لبحثها هنا

(البحر الأحمر) والبحر الأحمر نفسه ذو أهمية علمية كبيرة في كثير من النواحي فهو ضيق عميق جداً ، دافىء كثير البخر لا تصب فيه أنهار ولا تجود عليه السماء بالمطر الا النذر اليسير فهو شديد الملوحة ، ويتصل بالمحيط الهندي عند بوغاز باب المندب . الا أن مرتفعاً من القاع لا يزيد غوره على خمسين متراً شمالي باب المندب بنحو ستين ميلاً يفصل مياه الأغوار في البحرين بينما يسمح باختلاط المياه السطحية الدافئة

ومما يزيد في دفء مياه البحر الأحمر هبوب الرياح الموسمية في المحيط الهندي في الشتاء غرباً ، دافعة اليه مياه المحيط الهندي السطحية الدافئة ، في الوقت الذي تبدأ فيه درجة حرارة مياه البحر الأحمر في الهبوط ، فتحول دون هبوطها ، وبذلك أصبح هذا البحر أدفأ كثيراً من أي نقطة في البحار الأخرى على نفس خط العرض

كانت أهم نتائج خواص البحر الأحمر تلك : —

أولاً — أن تسربت أحياء المنطقة الهندوباسيفية الى البحر الأحمر عن طريق بوغاز باب المندب

ثالثاً — صادفت هذه الأحياء مياهاً دافئة فنشأت وانتشرت شمالاً الى حيث لم تبلغه في البحار الأخرى ، ومن أهم هذه الأحياء تلك التي تكوّن الشعاب المرجانية

ثانياً — مياه القاع في البحر الأحمر أدفأ منها في أي بحر آخر إذ يبلغ متوسط درجة حرارتها نحو العشرين المئوية بينما درجة حرارة مياه القاع في المحيط نحو الصفر المئوي وسبب ذلك هو وجود الحاجز المرتفع من القاع شمالي باب المندب ، حائلاً دون تسرب مياه القاع الباردة من المحيط الهندي الى البحر الأحمر

رابعاً — لما كانت درجة حرارة مياه القاع في البحر الأحمر أعلا منها في أي بحر آخر كانت أحياء القاع مختلفة عنها في المحيط الهندي وغيره من البحار ، أو بعبارة أخرى كوّنت أحياء القاع في البحر الأحمر مجموعة خاصة به ، سوف يكون لدراستها شأن عظيم من الناحية العلمية

***

﴿البحر الأبيض﴾ تلك هي خواص البحر الأحمر الهامة فلنقارنه إذاً ببحرنا الآخر — البحر الأبيض

يتصل البحر الأبيض بالمحيط الأطلنطي ببوغاز جبل طارق ومنه تسربت أحياء المحيط الاطلنطي الى هذا البحر . وهذا البوغاز أكثر غوراً من الحاجز بين البحر الأحمر والمحيط الهندي . لذلك كانت درجة حرارة مياه القاع في البحر الأبيض أبرد منها في البحر الأحمر إذ تبلغ نحو ١٣° مئوية

أحياء البحر الأبيض إذاً من احياء المحيط الاطلنطي ، وقد أوسعها العلماء بحثاً منذ أجيال كثيرة ، وتقوم في تلك المنطقة محطات عديدة في البحر الابيض وفي المحيط الأطلنطي على الشواطىء الاوربية والافريقية والاميركية ، وعدنا منها معهد نؤاد الأول للأحياء المائية التابع لمصلحة مصائد الاسماك

لست أقول اننا نعرف الكفاية عن البحر الابيض ، فما يزال هذا البحر مجهولاً في كثير من نواحيه . ولكن هناك نشاطاً لا بأس به لدراسته . أما بحرنا الآخر البحر الأحمر والمحيط الهندي ، فلم تكن فيهما محطة واحدة تعنى بدراستهما ، مع ان أحياء هذين البحرين أكثر تنوعاً من أحياء المنطقة الاطلنطية ، ولا نزال نجهل الحياة فيهما ، اللهم إلاّ القليل مما كشفته البحوث العلمية القليلة

لذلك صحت عزيمة كلية العلوم على اختيار البحر الأحمر ، فأقامت بالغردقة محطة واسعة الأرجاء بها عدد من المعامل ، زوّدت بأحدث الأجهزة العلمية وتسراير على أحسن الاساليب لتربية الاحياء البحرية ، فأصبح بذلك في متناولنا ، في منطقة معتدلة الحرارة من جميع

الاوساط العلمية العالمية، أن تدرس أحياء المناطق الحارة التي لم يكن في وسع إنسان ان يدرسها الا بشق الانفس

***

(الاعداد العلمي للمحطة) وقد أعدت المحطة للبحوث العلمية على أحدث النظم وزودت بكل ما تحتاج اليه دراسة الاحياء البحرية حية في موطنها الطبيعي ، أو في المرابي بحيث تهيأ لها فيها كل الظروف الطبيعية بقدر الامكان . وفي الحقيقة لم تكن المرابي وافية تماماً من هذه الناحية الا أننا تمكنا من تحسينها تدريجيًا . وبدراسة الاحياء المختلفة عن كثب أمكننا أن نتجح في تهيئة أسباب الحياة لعدد كبير من الأحياء البحرية في المرابي مدداً طويلة

وكل معمل من معامل المحطة مزوّد بالمرابي الثابتة المبنية من الاسمنت وأخرى قابلة للنقل صنعت من هيكل من الحديد المطلي وقاعدة من الاردواز وحوانب من البلّور يجري في كل هذه ماء البحر في تيار مستمر يكفل تغيير الماء وتهويته مع إمداد الأحياء بما تحتاج اليه من الغذاء من الكائنات الدقيقة المعلقة في ماء البحر

وأغلب المحطات البحرية المقامة بالقرب من الجهات الآهلة بالسكان لا يمكنها استعمال ماء البحر القريب من الشاطىء لتربية الاحياء في مرابيها . بل تضطر عادةً الى جلب الماء اللازم لذلك من وسط البحر على بعد عدة أميال ، حيث يضمنون نقاءه . ولما كانت كمية المياه التي يمكنهم إحضارها بهذه الطريقة محدودة لامحالة ، اضطروا الى جمعها وتنقيتها بعد الاستعمال وإعادة استعمالها مرات عديدة . ومهما تكن العناية بتنقيتها عظيمة فلا يمكن أن تصل الى درجة نقاء ماء البحر الطازج . أما محطتنا بالغردقة فتمتاز بأن مياه البحر تحت المعامل مباشرة نقية رائعة النقاء لا يشوبها شيء . فليس بنا من حاجة الى جلبها من وسط البحر ، أو خزنها لنعيد استعمال شيء منها ، بل لا نحتاج الى ترشيحها ولنستعمل ماء البحر طازجاً فيوضع في صوريج عالٍ يملأ مرتين في اليوم ، في الصباح وفي المساء ويرفع اليه الماء من البحر بمضخة مبطنة بالخزف ويساب منه الى أحواض التربية في أنابيب من الباغة (Celluloid) هيئت بصنابير من الباغة أيضاً . وبذلك لا يتصل الماء في طريقه من البحر الى المرابي بأي معدن كان وغير خاف أثر المعادن في ماء البحر إذ تذوب فيه فتقتل الأحياء التي تعيش به . وقد دلّت التجارب العديدة التي أجريت على تربية أنواع مختلفة من يرقان حيوانات عديدة على تمام صلاحية الماء ونقائه . وتعذر حفظ بعض الأحياء داخل المعامل تبين أن حاجتها الماسة الى ضوء الشمس المباشر هي السبب الأساسي في ذلك. فأقيمت بعض المرابي في الخارج معرضة للشمس والهواء الطلق فازدهرت فيها تلك الأحياء والمحطة مزوّدة بجميع المعدات لجمع النماذج . بما لتش متوسط الحجم ، ومراكب شراعية

وقوارب تسير بالمجذاف وتركب بها ماكينة صغيرة عند الحاجة . وهوادن (قوارب صغيرة من جذوع الشجر) وصنادل الصيد كالشباك من مختلف الأنواع والجرافات وأجهزة سبر الأغوار وجمع العاج من رواسب القاع وماء البحر من مختلف الأعماق ، وأجهزة الغوص ، وسير ذلك من الأجهزة العلمية لدراسة كل ما يتصل بالأحياء البحرية

***

(أعمال المحطة العلمية) انهُ وان كان قد مضى على البدء في انشاء المحطة ما يربي على عشر سنوات الاَّ أنها لم تتم للآن . ولكنها على الرغم من ذلك قد حققت كثيراً من الأغراض الهامة المنوطة بها مما يشجع على زيادة الجهد في إتمامها وإنمائها

وقد عنيت المحطة بالبحوث العلمية بنوع خاص فعكف عليها أعضاء المحطة الفنيون ، كلٌّ فيما اختص به ، وساعدوا كثيراً من أعضاء جامعتنا الذين وفدوا الى المحطة للقيام بأبحاث أجنديهم اليها ما تمتاز به أحياء البحر الأحمر من الأهمية العلمية . وقد كانت جهودهم جميعاً موفقة أحسن التوفيق فأسفرت أبحاثهم عن نتائج هامة أكبرتها الأوساط العلمية العالمية التي لم تتأخر في السعي الى المشاركة في هذا العمل العلمي فحجَّ الى المحطة عدد من العلماء من انجلترا وفرنسا واميركا والدنمرك وبولندا وغيرها ولم تألُ المحطة جهداً في تشجيع ذلك حتى أصبحت عاملاً هامًّا في توثيق أواصر الصلات الثقافية والعلمية بين مصر والبلاد الأجنبية . وكذلك أصبحت المحطة أهمَّ معهد للأحياء البحرية في المنطقة الهندوباسيفية

ولم تدع كلية العلوم فرصة وجود العلماء الأجانب بالمحطة تمرُّ دون أن تنتفع بخبرتهم الواسعة فقررت تيسير زيارتهم وان يتدرَّب معهم أثناء إقامتهم بالمحطة بعض أعضاء الكلية الناشئين ولا شك في أن في ذلك فائدة لا يستهان بها

وفي أول الأمر كانت تنشر النتائج العلمية بواسطة الهيئات العلمية الأجنبية . ولكننا الآن ننشرها في نشرات خاصة بالمحطة صدر منها الأجزاء الثلاثة الأولى . وتتبادل المحطة هذه النشرات مع ما يقرب من ثلثمائة معهد علمي وتتلقى مقابلها عدداً كبيراً من نشرات هذه المعاهد

وقد أخذت المحطة تسطاً من تدريب طلبة السنة النهائية في كلية العلوم إذ كانوا يفدون عليها في عطلة الشتاء . ولا شك انهم كانوا يكسبون خبرة اساسية لم تتعرف الى احياء المياه المصرية . الاَّ أن حالة الحرب الحاضرة حالت دون حضورهم العامين الاخيرين

ولا نخال الاَّ انه سيأتي يوم قريب تدرس فيه الأحياء البحرية المصرية من الوجهتين النظرية والعلمية كفرع أساسي من علوم الحياة أسوةً بالجامعات الأجنبية

وتقوم المحطة بنصيبها في نشر الثقافة الخاصة والعامة . فقد فطن كثير من المعاهد المصرية الى

أهمية هذه الدراسة وأوفدوا بعض أعضائها فنظمت المحطة لهم دورات تعليمية وعملية مناسبة . وقد كان لمدرسي التاريخ الطبيعي بوزارة المعارف وكلية الزراعة نصيب وافر منها . وانه لما يغبط به حقا أن ترى مدارسنا الثانوية قد بدأت تعي بتربية ابنائها تربية علمية سليمة تعدادهم صحيحة تساعدهم على التعرف الى انحاء وطنهم وموارده الطبيعية وقد كان للبحر الأحمر والمزرعة نصيب كبير. ويسر المحطة ان تبذل ما في وسعها لمساعدة هذه الرحلات والمؤسسها

***

ولم يكد يتم إنشاء هذه المحطة ينتشر في الأوساط العلمية العالمية حتى وفد عليها عدد من العلماء من الأقطار المختلفة في اوربا وأميركا ليحققوا أمنية طالما حلموا بها . تلك الأمنية هي دراسة الشعاب المرجانية . والحق ان من يمضي بالمزرعة بضعة ايام ليكتسب خبرة واسعة عن حياة النبات والحيوان يستحيل عليه فقدها . ويظهر ان الانسان في بادىء الأمر يشدهه مايرى من جمال الأشكال وروعتها ، ولكنه لا يلبث أن تستغرق تفكيره العلائق المعقدة بين الأحياء المتعددة في اشكالها المتباينة . وفي الحقيقة ان في تنسيق الشعب المرجانية وزخرفها ما يبعث على لذة تستهوي كل من يراها، فهي حقا حدائق الماء فيها أشجار من المرجان وأزهار من مختلف الحيوان وأطيار من الأسماك وأنهار من الرمال . جميلة حقا هذه الشعب المرجانية . ولكنها في حياتها معقدة أيما تعقيد . إنها تولد وتكبر وتتزعزع ثم تهرم فتموت ، وهي في كل طور من هذه الأطوار تلعب بلب العالم الذي يحاول التعرف الى مايكتنفها من أسرار ، وما تحويه من مختلف الحيوان والنبات ، التي يتطلب الكثير منها دراسات طويلة وبحوثاً متواصلة

وكيف تعيش هذه الأحياء وقد التصقت واحدتها بالأخرى ، آلاف مؤلفة منها في بقعة صغيرة من البحر كأنما حشرت فيها حشراً ؟ هذه مسألة من المسائل التي تواجه الأحياء التي تعيش في الشعب المرجانية، وقد حلتها الأحياء المختلفة بطرائق مختلفة . ولعل أهم هذه الطرائق طريقتا التعاون والمعايشة (حياة التكافل)، حيث يعيش نوعان او أكثر من الأحياء معاً ويتبادلان المعونة ، وأحسن مثل لذلك هو مرجان الشعب نفسه . فالمرجان حيوان من قسم الجوفمويات . يتكون من كيس رقيق يفرز خارجه كأساً جيرية ، ويتكاثر بالتبرعم ، وتظل سلالاته متلاصقة مكونة مستعمرات ، يختلف شكلها حسب نوع المرجان . ويعيش داخل أنسجة حيوان المرجان نباتات دقيقة تتعاون مع الحيوان على حل مشاكل الحياة ، فتأخذ ثاني أكسيد الكربون الذي يفرزه الحيوان وتستعمله في تمثيلها الخضري وتعطيه بدلاً منه الأكسجين . ومن بين افرازات الحيوان ما هو نافع للنبات مثل الفوسفات والأزوتات وغير ذلك فتأخذها هذه النباتات لغذائها ، وتخلص الحيوان منها ، وبذلك أمكن ان يعيش المرجان مزدحماً في مناطق ضحلة . وهناك من

الحيوانات ما تعتمد كلية على النباتات التي تعيش في أنسجته ، فتستغني عن اقتناص قوته وفقد بعض أعضائه الهاضمة

وتوجد هذه النباتات في كثير من الحيوانات الأخرى التي تعيش في الشعاب المرجانية مثل بعض الاسفنجيات وكثير من الأنيمونات (الشقائقيات) sea anemones والمرجانيات اللينة الالسيونيات (soft corals : Alcyonaria) والهدريات hydroids وبعض الديدان المسطحة الطليقة Turbellaria وقليل من الرخويات Molluscs وبعض قرب البحر الصفنيات ascidians

وتختلف النباتات نفسها في أنواعها وفي الدور الذي تلعبه مما لا مجال لذكره الآن

***

أما المعايشة (حياة التكافل) فهي صلة أقل توثقاً من التعاون ، ونراها كذلك في كثير من حيوانات الشعاب المرجانية

ولعل أظهر مثل لها معايشة الأنيمون (شقائق البحر) sea anemones لبعض أنواع الأسماك . ففي البحر الأحمر ثلاثة أو أربعة أنواع من مردة الأنيمون giant anemones ، قد يزيد قطر القرص الفموي oral disc في بعضها على ثلاثين سنتيمتراً . وتعيش هذه ملتصقة على الصخور في الشعب المرجانية ، لا تتحرك من مكان لآخر إلا غراراً ، وفي كثير من البطء . وبينها قد لا تكاد تزيد مواضعها على عدد . وتتكون هذه الأنيمونات من جسم اسطواني أجوف رقيق الجدار جداً ، يلتصق الى الصخور بسطحه الأسفل او ما يعرف بالقدم ، وبينما يمتد طرفه المقابل في عدد كبير من الزوائد الجوفاء ، قد تكون صغيرة كالحبيبات او طويلة كبيرة في حجم أصابع الانسان وحينئذ تكون سهلة الحركة ، بين تقلص وتمدد وانكماش . وتعرف هذه الزوائد باللوامس لحساسيتها وسرعة إستجابتها . وتكثر فيها الخلايا اللاسعة فضلاً عما تفرزه من مادة لزجة تلصق كل ما يسوقه نكد الحظ ان يلمسها من الحيوانات الصغيرة ، فتوسعها لسعاً حتى الموت ، ثم تزج بها في فمها الذي يوجد في وسط القرص الفموي بين اللوامس

وتميز الأسماك الصغيرة هذه الأنيمونات بغريزتها ، فتبتعد عنها اتقاء شرها ، إلا بضعة أنواع قليلة يوجد منها ثلاثة في البحر الأحمر ، على ما نعرف ، اعتادت صحبة هذه الأنيمونات فاصطفتها الأخيرة لنفسها ، لا تلصقها ولا تلمسها ولا تحاول إيذاءها بأية طريقة من الطرق . ليس هذا فحسب ، بل يعيش أحدها مع الآخر عيشة التآزر والتساند لكل ما يصادفهما من الصعاب . وقد بلغ من ملازمتها أننا ما نجد الأنيمون إلا ومعه سمكتان أو أكثر من أحد هذه الأنواع او اثنين منها أو ثلاثتها جميعاً ، وما نجد إحدى هذه الأسماك الا وتعيش مع

الأنيمون . وإن كان في وسع السمكة أن تعيش بمعزل عن الأنيمون ، فإن الأنيمون يعين عن السمكة لو حيل بينها . وتسبح هذه الاسماك نهاراً على مقربة من الانيمون ولا تبتعد عنه كثيراً فإن أوجست خيفة هرعت اليه ، واحتمت بين لوامسه اللاسعة بمأمن من أعدائها . كذلك تأوي بين هذه اللوامس كما جن الدجى حيث ترقد آمنة هانئة . وتجزي السمكة الأنيمون عن هذه الحماية بمساعدته في اقتناص قوته ، فإذا ما ساق سوء الحظ حيواناً بحرياً صغيراً إلى بين لوامس الانيمون ، لسعهُ هذا وشل حركته ، ولكنهُ قد يسقط بعيداً عن الأنيمون ، وحينئذ تسرع السمكة اليه وتعيده إلى مضيفها المقدد

وهذا مثل آخر للمعايشة (التكافل) لا يقل طرافة عن سابقه . يشترك فيه نوع آخر من الأنيمونات مع نوع خاص من السرطان الناسك Hermit crab

ويأوي هذا السرطان ، ككثير من الانواع المشابهة ، الى محارة خالية من محار الحيوانات الرخوة فيحتمي بها من بعض أعدائه ، لا يفارقها الا اذا كبر إلى حدٍّ لم تعد بعده تناسبه ، فيبحث عن أخرى أكبر منها فينتقل اليها

إلا أن هذا النوع لم يكتف بالوقاية التي يكتسبها من المحار ، إذ بين أعدائه ما يمكنهُ جرش المحارة وافتراسها بما فيها ، فاستعان على ذلك ببعض الأنيمونات الصغيرة يلصقها على ظهر المحارة حتى يغطيها بها وبذلك لا يجرؤ اعداؤه على الفتك به . وتستفيد الأنيمونات من هذه الوقاية ، بأن ينقلها السرطان من مكان الى آخر فيسهل عليها البحث عن قوتها ، ولا تتعرض للردم برواسب البحر . وعند ما يكبر السرطان ويغير محارته ، ينقل الأنيمونات من المحارة القديمة ، ويلصقها بالمحارة الجديدة

ولا يوجد السرطان أو الانيمون من النوع الخاص في الطبيعة منفردين ولكنهما متلازمان دائماً

إن موضوع المعايشة بين أحياء الشعب المرجانية لموضوع طويل جداً يشمل جميع الأحياء التي تعيش في الشعب تقريباً ويستدعي بحثاً طويلاً لذلك أكتفي الآن بهذا القدر

***

هناك شيء آخر أحب أن أشير اليه . إن في البحر الأحمر لثروة علمية كبيرة من هذه الأحياء، وتعني المحطة أكثر العناية بدراسة حياتها في الاكواريوم المائي وتأمل أن يأتي يوم يقام في كل من القاهرة والاسكندرية وغيرها من المدن الكبيرة أكواريوم تعرض فيه هذه الأحياء

أسوة بما هو متبع في البلاد الاخرى من الأمم المتحضرة ولا شك أن مثل هذا المشروع فائدة ثقافية كبيرة . إذ يهيئ للشخص العادي ، دون ان تبلله قطرة ماء ، أن ينعم بالنظر لابرزها الأسماك الغواصون ، غير شيء الأحياء المائية . وقد عرضت أمامهُ في بيئة تشبه بيئتها الطبيعية ، فما سابحة في الماء أو ثابتة في قاع البحر بين الصخور أو بين الحيوانات المرجانية أو غائصة في رمال القاع ، فلا يظهر منها الا الرؤوس او أجهزة التنفس ، او ما الى ذلك

ولما كانت الأحياء التي تعيش في البحر الأحمر تتفرد بجمالها الممتاز او غرابتها مع تباين أشكالها وألوانها كان هذا كفيلاً ان يستهوي الخاصة والعامة الى المشاهدة والتفكير في حقيقة هذه الأحياء وطرائق حياتها . وفي هذا ما فيه من التثقيف والارتفاع بمدارك الشعب وتقوية ملاحظته وقوة تفكيره وتذوقه شتى نواحي الجمال في كل ما يحيط به

وليس بُعد القاهرة او بعض كبريات المدن المصرية عن البحر بمائق عن إقامة الأكواريوم للأحياء البحرية ، فان في مياه البحر الصناعية ما يغني عن الطبيعية وقد دلت تجارب ثمان وعشرين سنة في أكواريوم برلين على ان مياه البحر الصناعية لو أضيف اليها قليل من مياه البحر الطبيعية لصلحت لتربية الأحياء البحرية تماماً

***

ولا اعرف بالضبط ما هي المادة التي توجد في مياه البحر الطبيعية والتي لا غنى للاحياء البحرية عنها . وكل ما نعرف عنها انهُ بدونها تمرض الأحياء البحرية سريعاً في ماء البحر الصناعي . ويمكن مقارنة فعلها بفعل الفيتامينات في الطعام

وفي أكواريوم برلين يدبئ بمياه البحر الطبيعية . ومن وقت لآخر — كل ثلاثة أشهر تقريباً — يلقى بنصف الماء ويضاف الى النصف الباقي كمية مساوية من مياه البحر الصناعية وهكذا . أي أنهم لم يستعملوا ماء البحر الا في أول الأمر فحسب

وكما تفتقر مدن القطر المصري الى الأكواريوم تفتقر كذلك الى متاحف التاريخ الطبيعي هذا رغم أن لمصر من أحيائها البرية والبحرية ومعادنها ومنتجاتها ثروة عظيمة تكفل لنا متاحف تنافس المتاحف العالمية

وقد حاولت كلية العلوم في السنوات الأخيرة إقامة متحف للتاريخ الطبيعي الا أن العقبات المالية لا تزال تقف في طريقها وعند ما يخرج هذا المشروع الى حيز التنفيذ سيكون للمحطة القسط الأوفر من تموين المتحف بالنماذج المختلفة العديدة

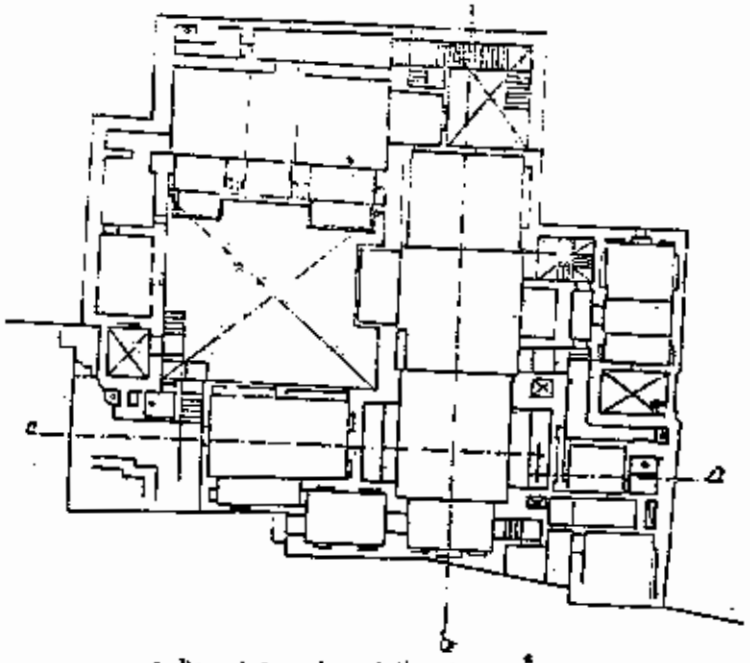

مسقط أفقي للطابق الرئيسي لبيت زينب خاتون

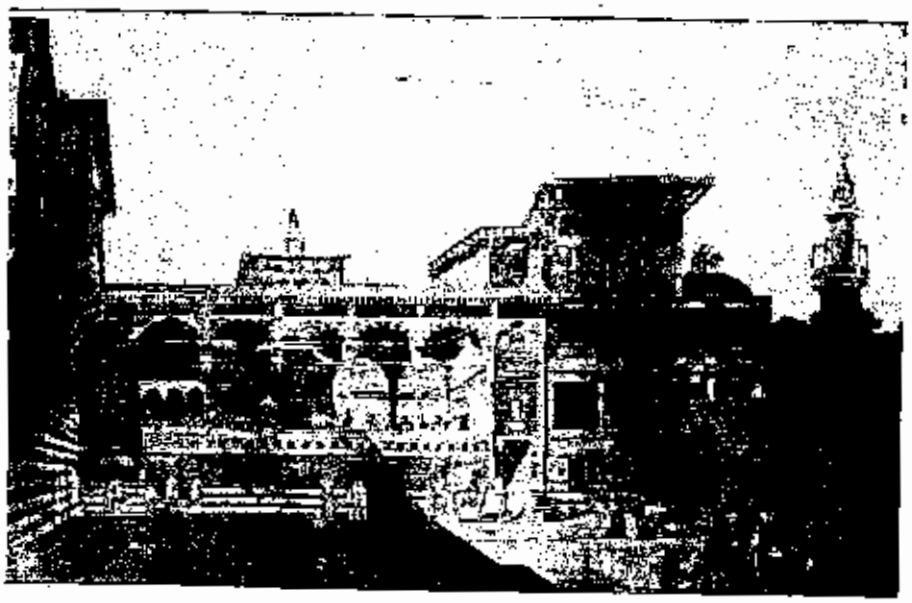

فناء منزل عثمان بك من رجال المماليك « القرن السابع عشر »

الدار الاسلامية

في مصر

للصاغ عبد الرحمن زكي

لسنا بحاجة الى القول بأن أصول الريازة لم تكن معروفة في بلاد العرب قبل الاسلام اللهم اذا استثنينا اقاليم اليمن وغسان والحيرة حيث قامت مدنيات قديمة قبل الاسلام . فقد كان العربي على معرفة يسيرة بفن البناء . ولم تكن اماكن السيادة في بلاد العرب سوى اقنية مربعة صغيرة يحوطها اربعة جدران لا يزيد ارتفاعها على ثلاث أذرع . وهذه بالطبع لا تعدمن أعمال الريازة بالمعنى المفهوم منها . والمعلوم ان العرب لم ينقلوا الى البلدان التي أخضعوها لسلطانهم أي أثر لريازة عربية . ففي ذلك الوقت كان العرب الرحّل يؤلفون نسمة اغشار سكان البلاد العربية . وربما كانت الخيمة المصنوعة من الشعر مسكنهم الوحيد . والبدوي لا يطيق العيش داخل غرفة مغطاة بسقف لانهُ شاعر بطبيعته يرتاح الى تسريح طرفه في السماء وهو مستلقٍ على ظهره في العراء أو داخل خيمته ذات الغطاء غير المحكم . . . ولذا فهو يحس بالضيق بل يكاد يشعر نفسه سجيناً أو في فخ أو شَرَك اذا ما سكن في غرفة

ولو أن الدين الاسلامي الجديد الذي بزغ نجمه في شبه الجزيرة العربية بقي في ربوعها ولم ينتشر في الأقاليم المجاورة لما أصبح للريازة [1] الأسلامية ذلك الأثر العظيم من الجمال والكمال . ولما كنا نرى الفن الأسلامي الرائع في أسطع صورة يحتل مكانة سامية في ميادين النشاط الفني الذي ابتدعتهُ البشرية

والواقع ان الصناع المسلمين او الذين عملوا بارشاد الرائز المسلم أبدعوا في بناء منشآتهم وزخرفتها بما يتفق تماماً مع طبيعة عقيدتهم الدينية ووقار دينهم الحنيف وما يساير طقوس عبادتهم

ولقد وصف كتّاب السيرة دار سيدنا محمد في المدينة وصفاً دقيقاً نستنتج منهُ أن هذه الدار كانت في أول الأمر تشتمل على فناء مربع الشكل تحيط به جدران أربعة مشيدة من اللبن ويبلغ ارتفاعها ثلاثة امتار ونصف متر . واشتمل احد الجوانب على صُفة كان النبي ينام فيها

(١) المقتطف : — وضعنا هنا كلمة الرائز بدلا من كلمة المساح والرائز والراز رئيس البنائين وجمعه رازة . والريازة هي فن هندسة البناء

المصلين وكان لها سقف من جريد النخل مغطى بطبقة من الطين والقائم على عدد من جذوع النخل . وكان للدار ثلاثة ابواب وفي الجانب الخارجي من الجدار الشرقي شيدت حجرات لزوجات النبي يتسع منها من الابن وخمس من الجريد للغطي بالطين وعلى الجانب المقابل للظلة مأوى صغير كان ملجأ لفقراء المسلمين الذين تبعوا النبي من مكة

فاذا أمعنا النظر في شكل الدار الاولى للنبي عرفنا ما كان عليه رسول الله من القناعة والزهد ووقفنا على بساطة فن البناء في صدر الاسلام وعلمنا ايضاً ما كانت عليه الدار الاسلامية الأولى

ومما تقدم نرى أن ابن خلدون كان محقاً في ما كتبه حين قال « كان الدين في أول الأمر مانعاً من المغالاة في البنيان والاسراف فيه في غير قصد كما عهد لهم عمر حين استأذنوه في بناء الكوفة بالحجارة وقد وقع الحريق في القصب الذي كانوا بنوا به من قبل فقال افعلوا ولا يزيدن أحد على ثلاثة أبيات (غرف) ولا تطاولوا في البنيان والزموا السنة تلزمكم الدولة (١)

فتح العرب لمصر

وأراد عمرو بن العاص بعد فتح مصر ان تبقى الأسكندرية كما كانت عاصمة البلاد فلما أبى عمر بن الخطاب عليه ذلك ترك عمرو مسألة الأسكندرية وشرع في تخطيط مدينة جديدة أمر بانشائها بالقرب من قصر الشمع حصن الحامية الرومانية — في المكان الذي حط فيه الجنود المسلمون رحالهم . وضرب عمرو بالقرب منه فسطاطه قبل وجهه لفتح الأسكندرية

قام بتخطيط الفسطاط أربعة من زعماء الجند يمثلون قبائلهم فقسموها الى اخطاط اتخذت كل قبيلة لنفسها خطة منها . وفي خلال عام واحد تمت تلك المدينة بسرعة عجيبة وكنا لا نعرف شيئاً عن تفاصيل البناء الذي اقامه المسلمون في الفسطاط الى أن تم كشف أنقاضها في حفائر دار الآثار العربية فظهرت بيانات كثيرة عن عمارة الفسطاط ولاسيما شكل تخطيطها وعدد دورها

لقد كشفت حفائر الفسطاط دوراً كثيرة لها أبنية متوسطة الحجم وظهر منها أن الغرف في كل دار كانت تحيط بالحوش في نظام مماثل لما في الدور الأخرى . اللهم الا في احوال نادرة . وكانت جميع هذه الدور على نظام هندسي قائم على محورين يلتقيان في وسط حوش وتختلف الغرف المحيطة به في المقياس والنسب . وفي كل جنب من جوانب الحوش رواق ذو ثلاث فتحات تختلف في الضيق والسعة . منها الفتحة الوسطى وهي أوسع من الفتحتين الجانبيتين وفصلها عنهما كتفان مبنيان بالآجر . وفي منتصف الرواق القاعة ، وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان منعزلتان عنها . وفي الجوانب الثلاثة الاخرى من الحوش في محور كل جانب ايوانات تختلف في الامتداد

(١) الفصل الثامن من الباب الرابع في مقدمة ابن خلدون « في ان المباني والصنائع تابعة في الملة الاسلامية بالنسب الى عمرتها وحال ما كان قبلها من الدول »

الى الداخل فتتكوّن منها ثمرة قاعات وطوراً وهو الاغلب ايوانات صغيرة او صفف . ويلاحظ في الرواق ذي الفتحات الثلاث التي يمر منهُ الداخل الى الغرف الباقية من السكن أنها شرقية وفي بعض الأحيان تكون غربية . وكانوا يتجنبون الجنوب كما يتجنبون الشمال وكانت أهم مشتملات دار الفسطاط الأجزاء الآتية :

ا — الحوش ويتوسط الدار وهو غير مسقوف ومقاسه في الغالب بين أربعة وخمسة أمتار مكشوف ليتوفر للقاعة الكبيرة النسيم والنور

ب — الرواق والقاعة . هما المحلان المهمان في الدار — ويلاحظ ان هذا النظام في الدور لايزال باقياً حتى الآن في مدن اسبانيا الجنوبية وفي شمالي افريقيا وفي عدة جهات من العالم الاسلامي . وقد وجد منذ بدء الفن الاسلامي في الاخيضر وفي سامرا كما نراه في قصر ست الملك [١] قبل أن يضم الى مارستان قلاوون [٢]

ج — الايوانات وهي من المميزات الرياضيّة التي ترافق الحوش حيث يسهل التنقل فيها من محل الى آخر على حسب الفصول وساعات النهار

ومن المحتمل ان باب الدار لم يكن في اتجاه محور من المحاور ويظهر ان الدركاة او الدهليز الذي يؤدي الى الباب كانت على شكل مخدع وان كان ذلك لم يستنتج من الحفائر وانما هو من القواعد العامة التي كانت متبعة في المباني الاسلامية في كل العصور والغرض منهُ حجز ما يجري في الحوش أو القاعة عن نظر من بالخارج

***

لم تكن منازل العرب في أول الأمر بمدينة الفسطاط تحتوي الاّ على طبقة واحدة أرضية

وقد قيل ان أول من بنى غرفة ذات طبقتين بالفسطاط هو « خارجة بن حذافة » فلما علم عمر ابن الخطاب أمرها فكتب الى عمرو « ادخل غرفة خارجة واقصب فيها سريراً وأقم عليهِ رجلاً ليس بالطويل ولا بالقصير فان اطلع من كوّتها على عورات جيرانه فاهدمها » ففعل ذلك عمرو [٣] . ولما وجدها غير صالحة أمرها فأخذت البيوت تتسع كما أخذت عمارة المدينة تزدهر وتزداد حتى فاقت مدينتي البصرة والكوفة [٤]

وعلينا أن نقرأ بتحفظ رواية الرحالة الفارسي ناصر خسرو الذي زار مصر . فقد ذكر ان بعض دور الفسطاط كانت مكونة من اربعة عشر طابقاً . فلو فرضنا ان هذه الطبقات كانت

(١) دار ست الملك بنت العزيز لدين الله نزار واخت الحاكم بأمرالله . وسكن هذه الدار في الدولة الايوبية مؤنسة بنت الملك العادل ابن بكر بن ايوب ثم الامير بدر الدين جاركس صاحب القيسارية بالقاهرة ثم سكنها الملك الافضل قطب الدين حتى أخرجهم الملك المنصور قلاوون منها ولكن قطب الدين الايوبي بناها سميت الدار القطبية (٢) المصدر السابق (خطريات الفسطاط) ص ٩١ (٣) ابن دقاق ج ٤ ص ٦ (٤) القاهرة الجزء الاول ص ١٠٤ — للمازم الاول عبد الرحمن زكي — عام ١٩٣٢

ذات ارتفاع قليل لكن ارتفاع البيت يقرب من خمسة وثلاثين متراً على اقل تقدير ولكن رواية ناصر خسرو قد تكون دليلاً على ان بيوت المدينة كانت طبقات (١)

كما أنه قد وصل الينا أن لبعض المنازل أسطحة واطئة جداً (٢) ومن البديهي ان المدينة لا تكون أبنيتها كلها على طراز واحد فتكون فيها الفنادق والرباع وكانوا يشيدونها في الجهات المزدحمة بالمتاجر على ضفاف النيل وبجانبها الدور ومن بينها ما يكون مخصصاً لأسرة واحدة

ولقد أثبتت حفريات الفسطاط ان بعض الدور كان لها حوشان منفصلان بحيث أمكن اعتبار كل حوش وسط دار قائمة بذاتها . ومن المحتمل أيضاً ان يكون أحدهما مخصصاً للرجال والآخر للحريم ، وان كنا لم نوفق حتى الآن الى معرفة الحالة الاجتماعية التي كان يعيش فيها النساء في اوائل الفتح الاسلامي وفي العهدين العباسي والطولوني . وعلى كل حال فالمعروف ان الترف لم تكن معدة لغرض مخصوص كما تطورت الحال فيما بعد وفي بيوتنا الآن (٣) فان القاعة الكبيرة والرواق والاواوين والصحن كل ذلك كان يشتمل لاستقبال الزائرين تبعاً لأوقات النهار والفصول

ونحن اذا استثنينا بعض الدور الاسلامية التي كشفها المرحوم الاستاذ علي بك بهجت في الفسطاط بين سنتي ١٩١٢ و١٩١٩ لا نعرف آثاراً أخرى نقف منها على نظام الدور التي سكنها الولاة والحكام الامويون والعباسيون وهذه المنازل التي كشفت في الفسطاط من المحتمل جداً أن نرجعها الى عهد العباسيين والطولونيين . وقد بلغت الفسطاط في ذلك الحين غاية في القدر والثراء . والواقع ان الموازنة بين أبنية الفسطاط وأبنية سامرا وجامع ابن طولون ثم أوجه الشبه بين الزخارف التي كانت تحلى بها بعض واجهات الدور في الفسطاط والزخارف المنقوشة على بعض شواهد القبور في القرنين الثالث والرابع الهجريين كل ذلك يرجح ان معظم أبنية الفسطاط كانت من عصر الدولتين العباسية والطولونية (٤)

ومن الخطط المقريزية عرفنا وصف القصر الذي شيده احمد بن طولون وابنه خمارويه في القطائع بعد ان خربت وبحيت آثارها من الوجود (٢٩٢ هـ — ٩٠٥ م) على يد محمد بن سليمان الكاتب (الخطط ج ٢ — ص١٠٦) . ولا حاجة بنا الى هذا الوصف العام الذي أورده المؤرخ المقريزي عن هذا القصر . فهذا الوصف لا يعيننا البتة على معرفة نظام هندسته وتوزيع غرفه الداخلية او أجزائه الرئيسية وارتفاعها وسمكها .. الخ مما يساعدنا على اثبات نقط واضحة في هذا الموضوع . والخيال ايضاً لا يصل بنا الى شيء حاسم

(١) حفريات الفسطاط ص ٩١ للمرحوم علي بك بهجت (٢) المصدر السابق . ص ٩٤ (٣) المصدر السابق ص ٩٦ (٤) ذكر ابن دقاق في وصفه دور مصر اسماء عدة من الغرف والحال التي يشتمل عليها المسكن فأورد المجلس والباذهنج والمستعرق والطوديج والطارمة (ابن دقاق ج ٤ — ص ١١٨) راجع ايضاً المقال النفيس « أقدم دار اسلامية في مصر » بقلم المرحوم الاستاذ حسن محمد الهواري المنشور في مجلة الهندسة بالعدد ٨و٩و١٠ عام ١٩٣٥

اقدم دار اسلامية في مصر

وفي عام ١٩٣٢ وفق المرحوم الأستاذ حسن الهواري اثناء اشرافه على حفريات الفسطاط الى العثور على جزء من دار أمكنه تحديد عصرها لكثرة الزخارف التي على جدرانها . وهذا الجزء عبارة عن القسم القبلي من دار تشبه في نظامها الهندسي أغلب الدور المكتشفة في مدينة الفسطاط . ويشمل قاعة كبرى يزيد طولها على عرضها وتكتنفها من جانبيها حجرتان صغيرتان وأمام القاعة والحجرتين رواق كان له كتفان باقية احداهما وهي الشرقية بفصلانه عن فناء الدار . وفي بحري الفناء بركة ماء (فسقية) مربعة الشكل . وقد عثر في الركن القبلي الشرقي لهذه الفسقية على بقايا أنابيب من الفخار كانت تجري فيها المياه التي تغذي الفسقية

وقد أمكن بموازنة الزخارف الجصية التي تغطي محراب هذه الدار وبعض الجدران بمثيلاتها في جامع ابن طولون ان نقول انها من نفس الصناعة والروح . وهذه الدار التي مر على بنائها اكثر من الف عام حرية بان تكون لأحد أثرياء القوم في ذلك العهد . ولسنا نعلم الشيء الكثير عن الدار في العهد الاخشيدي القصير الأجل . وقد ذكر المقريزي ذلك البستان الذي امر بغرسه محمد بن طغج الاخشيد وسماه المختار . وبنى فيه قصراً واماكن له ولغلمانه وكان يفاخر به اهل العراق

القصور الفاطمية

واذا تقصنا الدار الأسلامية في مصر بعد العهد الطولوني لم نجد ما نهتدي به لمعرفة تفصيلات اخرى . سواء أكان ذلك من الآثار أم من كتب الخطط الأسلامية . فاذا ما وصلنا الى العصر الفاطمي وقلبنا صفحات الخطط المقريزية وجدناها تفيض في وصف القصرين الشرقي والغربي او القصرين الكبير والصغير . ومع ذلك لا نوفق الى رصف دقيق من الناحية المعمارية الهندسية كما قلنا وان كانت هناك تفصيلات كثيرة عن القصر الكبير الشرقي الذي وضع أساسه القائد جوهر والقصر الصغير الغربي والقصر الذهبي وقصر الذهب وقصر الاقبال وقصر الظفر وقصر الشجرة وقصر الشوك وقصر الزمرد وقصر النسيم وقصر الحريم وقصر البحر . وتلك كلها قاعات ومناظر شيدت في داخل سور القصر الكبير . وسميت القصور الزاهرة . وكان بجوار القصر الغربي الميدان والبستان الكافوري . وألحقت بالقصرين دور كثيرة ومبان عدة عرفت بأسماء مستقلة

وكان للفاطميين عدة مناظر ودور سلطانية غير تلك القصور منها دار الضيافة ودار الوزارة ودار الضرب ومنظرة الجامع الأزهر ومنظرة الجامع الاقمر ومنظرة اللؤلؤة ومنظرة المقس ومنظرة الدكة والتاج ودار الملك بمدينة مصر . . . . الخ .

ويمكننا أن نقف على وصف عام للقصر الشرقي مما أورده المقريزي . فكانت اجزاؤه تشتمل على عدة خطط واحياء تخترقها الطرقات والمسالك التي توصل الى اجزائه المختلفة وتضيء الاقبية

الكبيرة غير معروفة الى الآن الداخلية الصغيرة . وكان يحتوي على سكن للحريم وأهم أجزائه قاعة الذهب (قصر الذهب) وهي احدى قاعات القصر . وشيدها العزيز بالله نزار بن المعز . وكان مدخله في باب الذهب وقد جدد هذا القصر الخليفة المستنصر (٤٢٨ هـ) وكان الخلفاء يجلسون في هذه القاعة في اعيادهم . وبها كان يعمل سماط شهر رمضان للأمراء وسماط العيدين . وكان فيها سرير الملك

وذكر المقريزي انهُ في النصف من رمضان جلس المعز في قصره على السرير الذهب الذي عمله القائد جوهر في الايوان الجديد ولم يصف لنا هذا الايوان بكلمة . فهل تخيلهُ ايواناً ذا عقود واسعة يشرف على فناء القصر او تخيله ايواناً مسقفاً بالقباب العظيمة العالية كما كانت عليه ايوانات قصور الساسانيين في سارفستان او المدائن (اكتيسيفون) او كان ذلك الايوان قريب الشبه بالردهات . وقد وصلنا لحسن الحظ وثيقة خطيرة الشأن ، تثبت عظمة القصر الفاطمي وأبهته ، حين زاره رسولا الملك عموري (أمريك) سنة ٥٦٢ هـ (١١٦٧ م) ليعقدا مع الملك العادل باسم سيدهما تحالفاً توامه أن يدفع الخليفة للصليبيين مائتي الف دينار معجلة ومثلها مؤجلة ، لظهير دفاعهم عن مصر وصدهم الاعداء عنها

وقد وصف غليوم رئيس أساقفة صور (Guillaume de Tyr) زيارة الرسولين الصليبيين وعبّر عن حماسهما واعجابهما بعظمة ما رأياه وروعة كثير مما شاهداه ، وقد نقل جستاف شلمبرجيه (Gustave Schlumberger) الى الفرنسية بعض ما كتبهُ غليوم في هذا الصدد ، كما لخص لين بول (Lane Poole) بعضهُ في كتابه عن تاريخ مصر وكتابه عن صلاح الدين

وسار السفراء الفرنج يقودهم الوزير شاور ينفسح الى قصر له رونق وبهجة عظيمان . وفيه زخارف أنيقة نضيرة . وكان هؤلاء المبعوثون متأثرين بما حولهم جد التأثر دون أن يتطرق الى نفوسهم أي خوف أو رهبة . ووجدوا في هذا القصر حراساً عديدين وسار الحراس في طليعة الموكب ، وسيوفهم مسلولة ، وقادوا الفرنج في ممرات طويلة ضيقة وأتية حالكة الظلمة ، لا يستطيع الانسان أن يتبين فيها شيئاً . وربما كان المقصود بذلك بعث الرهبة الى قلوبهم وزيادة التأثير فيهم . ولما خرجوا الى النور اعترضتهم أبواب كثيرة متلاقية كان يسهر على كل منها عدد من الحراس المسلحين الذين كانوا ينهضون عند اقتراب شاور ويحيونهُ باحترام . ثم وصل الموكب الى فناء مكشوف ، تحيط بهِ أروقة ذات أعمدة وأرضيته مرصوفة بأنواع من الرخام متعددة الألوان ، وفيها تذهيب خارق للعادة بنضارته وبهائه ، كما كانت ألواح السقف تزينها الزخارف الذهبية الجميلة

وكان كل ذلك منظراً رائعاً بحيث لا يملك أشغل الناس بالاً وأكتمهم همّاً الاّ أن يقف للاعجاب بهِ . وكان في وسط الفناء ناقورة ، يجري الماء الصافي منها في أنابيب من الذهب

والفضة الى أحواض وقنوات مرصوفة بالرخام . وكانت تزدحم في انحاء أبواغ لاحدّ لها من الطيور الجميلة . ولم يكن أحد يرى هذه الطيور دون أن تصيبه الحيرة والدهشة اعجاباً بها ودون أن يقول أن الطبيعة أبدعت حين كوّنت هذه المخلوقات الحية . ومن هذه الطيور ما كان يلزم الثانورة ، ومنها ما كان يظل بعيداً عنها كلٌّ بحسب طبيعته ، وكان لكل منها من الغذاء مايوافقهُ

وهنا استأذن في الرجوع الحراس الذين كانوا يسيرون في مقدمة الفرسان الفرنج حتى ذلك الوقت ، وحلّ محلهم بعض العظماء من الأمراء المقربين الى الخليفة نفسه . وصار هؤلاء الأمراء بالسفيرين الفرنجيين في أفنية جديدة ، أشد جمالا وابداعاً ، ثم الى حديقة لطيفة غناء لم تكن الحديقة الأولى شيئاً بجانبها . ورأوا في هذه الحديقة أنواعاً من الحيوانات ذوات الأربع غريبة بحيث يتهم المرء بالكذب اذا وصفها ، أو تحدث عنها وبحيث لا يستطيع أي مصور أن يتخيل أو ان يحلم بمثل هذه الكائنات العجيبة . فان الغرب لم يرَ قط مثل هذه الحيوانات ، ولم يكن يعرفها الا بما كان يسمع من الاقوال

وبعد أن عبروا أبواباً عديدة أخرى ، وساروا في ممرات كثيرة ، كانوا يرون فيها أشياء جديدة تزيدهم دهشة واعجاباً ، وصل الفرنج الى القصر الكبير ، حيث يقطن الخليفة . وفاق هذا القصر كل ما رأوه قبل ذلك . وكانت أثيته تفيض بالمحاربين المسلمين متقلدين أسلحتهم وعليهم الزرد والدروع ، تلمع بالذهب والفضة ، وعليهم سيماء الافتخار بما كانوا يحرسون من الكنوز . وأدخل المبعوثون في قاعة واسعة تقسمها ستارة كبيرة من خيوط الذهب والحرير المختلف الألوان . وعليها رسوم الحيوان والطيور وبعض صور آدمية وكانت تلمع بما عليها من الياقوت والزمرد والاحجار الثمينة . ولم يكن في هذه القاعة أحد ، لكن شاور خرّ راكعاً ساعة دخوله ، ثم نهض واقفاً ثم قبل الارض ثانية . وخلع السيف الذي كان يلبسه في عنقه ، ثم خرّ ساجداً مرة ثالثة في ذلة وخشوع كأنهُ يسجد لله . وارتفعت الحجال فجأة ، ولما كشفت الستارة الحريرية الذهبية بسرعة البرق ، كأنها ملاءة خفيفة ظهر الخليفة الطفل (السلطان العاضد) لأعين الفرنج المبعوثين . وكان على وجه هذا الأمير نقاب يخفيه تماماً . وهو جالس على عرش من الذهب مرصع بالجواهر والاحجار الثمينة

ونعتقد اننا لا نستطيع ان نخرج من هذا الوصف الرائع بصورة عن هندسة القصر الفاطمي الكبير

الربوبيرة والمهاليك البحرية

وفي ايام سلاطين الايوبيين والطبقة الأولى من المماليك تجملت القاهرة بما شيد في احيائها من القصور الفخمة والدور الواسعة التي كانت تمتاز بطابع يجمع بين وسائل الدفاع والرفاهية

في مظهرها. كانت كالقلاع الحصينة وكانت مبانيهم في جموعها الانشائي عظيمة . ذات ابهاء مهيبة وقاعات فسيحة وسقوف مقببة ترتفع على عمد عالية . ويلاحظ الانسان تطوراً ظاهراً في اساليب العمارة الايوبية التي نقلها الايوبيون عن آثار الصليبيين في الشام . كما يلاحظ تقدماً في مواد البناء وجمالاً في الزخرفة . ولقد استمدت بعض منشآت ذلك العصر موادها الاساسية وهي الحجارة من الآثار المصرية والرومانية . كالاهرامات والمعابد واصطبغ مظهرها الخارجي بصبغة عسكرية ظاهرة. وقد دوّن المؤرخون وكتّاب الخطط ما احتوت عليه قلعة الجبل (قلعة صلاح الدين) وقلعة الروضة من مبانٍ عظيمة . فقد أحب صلاح الدين بعد ما خلا له الجو في مصر ان يجعل لنفسه معقلاً بمصر فوزع القصور الفاطمية بين امرائه . وألزمهم فيها وامر الأمير بهاء الدين قراقوش الاسدي بانشاء قلعة الجبل (٥٧٢هـ) وأزال المساجد والقبور والاضرحة التي أقيمت بمكانها القلعة العظيمة وبنيت في داخلها الدور السلطانية (٦٠٤هـ) . واستمرت دار ملك الى ايام محمد علي باشا ولا نعلم ما أصاب القلعة في ايام خلفاء الكامل بعد عام ٦٣٥هـ . فقد هجرها الملك الصالح نجم الدين ايوب وفضّل الاقامة في جزيرة الروضة وبنى بها القلعة وأنشأ بها الدور والقصور وغرس الاشجار وبنى بها جامعاً وعمل لها سنين برجاً وأنفق اموالاً جمة . وهدم بسببها اماكن كثيرة من دور وقصور ومساجد ليدخلها فيها وخرب الهودج الذي كان قد شيده الآمر باحكام الله على شاطىء النيل . ولما كملت القلعة جعلها مقر الايوان الملكي الذي قال فيه ابن سعيد الاندلسي الرحالة المعروف

« وكنت أشق في بعض الليالي بالقسطاط على ساحلها فيزدهيني ضحك البدر في وجه النيل امام سور هذه الجزيرة الدري اللون . ولم افصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت اليه همة بانيها . وهم من أعظم السلاطين همة في البناء . وأبصرت في هذه الجزيرة ايواناً لجلوسه لم ترعيني مثاله ولا أقدر ما انفق عليه . وفيه من صفائح الذهب والرخام الابنوسي والكافوري والمجزع ما يذهل الافكار ويستوقف الابصار »

وظلت قلعة الروضة عامرة حتى انتهت دولة الايوبيين . فلما تولى الملك السلطان الملك المعز عز الدين ايبك التركماني اول سلاطين المماليك بمصر امر بهدمها ليعمر منها مدرسته المدرية بمدينة مصر واقتدى به ذوو الجاه. فأخذوا عدة سقوف وشبابيك وبيع من اخشابها ورخامها أشياء جليلة

وقد ذكر في كتاب وصف مصر انه كان موجوداً في زمن الاحتلال الفرنسي بقايا قصر بالمقياس ملاصق له من الشرق ومطل على الفرع الشرقي للنيل يعرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين . ولم يكن باقياً منه وقتئذٍ غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن اكثرها خرب . وهو بلا ريب من قصور القلعة الصلاحية وعما جدده فيه السلطان الغوري من القاعات أو المساكن

« للحديث صلة »

من صفحات القرون الوسطى

السلع التجارية الشرقية

وسواحلها في ديار الغرب

بقلم د . التميمي

لقد كان من الاسباب الرئيسية التي حملت بعض المغامرين من رجال البحر في اسبانيا والبرتغال وايطاليا على القيام بالاكتشافات البحرية في اخر العصور الحديثة طمع اولئك المغامرين في اقتناء الثروات الجسيمة . ففي خلال القرون الوسطى كان بعض التجار في البلاد المذكورة يتجرون مع المرافىء الشرقية ويجنون من تلك التجارة ارباحاً جسيمة لان السلع الشرقية التي كانوا يتجرون بها نادرة ومرغوب فيها فكانوا يأتون بها من آسيا عن طريق مرافىء الشرق الادنى وكانت آسيا في نظرهم تقتصر على بلاد الهند التي يتصورونها مكتظة بالنفائس وقد بقيت بلاد الهند مجهلة بهالة من الغموض لا يعرفون عن موقعها وعن احوالها الطبيعية والعمرانية وصفاتها شيئاً صحيحاً نظراً لبعدها عنهم وعدم تمكنهم من الوصول اليها فكانوا يشترون نفائس الشرق وسلعه المرغوب فيها من تجار العرب في سوريا ومصر ويقولون بوجود طريقين تجاريين رئيسيين الاولى برية ويسلونها طريق الحرير كانت تبدأ من أواسط آسيا وتنتهي بمرافىء الشرق الأدنى والثانية بحرية وقد سموها طريق البهارات . وتمر من المحيط الهندي والبحر الأحمر وتنتهي بالقطر المصري

لقد كانوا يتصورون الارض على اشكال شتى وقالوا بانها مسطحة والقدس مبنية في مركز ذلك السطح الفسيح وتحيط به محيطات تمتد حتى جدران هائلة في الجهات الأربع وهذه الجدران تحمل قبة السماء وقد قالوا ايضاً يتعذر السفر الى نواحي الدنيا الشمالية نظراً لوجود جبال الثلج العظيمة وبعدم امكان التوغل في القسم الجنوبي من الدنيا ابتداء من خط الاستواء نظراً لارتفاع درجة الحرارة ولغليان المياه في المحيطات كل هذا جعلهم يمتنعون عن الذهاب الى ديار الهند الغنية

لقد ظل الغربيون على رأيهم المتقدم ذكره حتى القرن الثالث عشر حين ارسل البابا انسنت الرابع سنة ١٢٤٦ وملك فرنسا لويس التاسع سنة ١٢٥٣ وفوداً الى الملوك المغول للتبشير بالديانة النصرانية بينهم والاتفاق معهم على مسلمي البلاد المقدسة وقد ذهبت هذه الوفود الى مدينة

(قره تورووم) التترية الواقعة في جنوب بحيرة بايقال وكانت عاصمة المغول واطلعت على اشياء كثيرة أثناء الرحلة لم يكونوا يعرفونها من قبل

وفي أواخر القرن الثالث عشر قام ماركوبولو بسياحة طويلة في بلاد آسيا دامت عشرين سنة (١٢٧١ — ١٢٩١) وصل خلالها الى مدينة بكين وكانت تدعى حينئذٍ (كمبالو) وأقام ببلاد الصين سبع عشرة سنة ثم عاد الى أوروبا عن طريق الهند الصينية وبلاد الهند وإيران وبعد عودته بثلاث سنين نشر كتاباً بالافرنسية عن رحلته دعاه (كتاب الفرائس) وصف فيه البلاد التي زارها في سياحته الطويلة فكان لهذا الكتاب تأثير كبير في نفوس بعض المغامرين من تجارة الفرنج . ومما قاله في كتابه انهُ يوجد في آسيا مدن غنية جداً تجبي الواحدة منها اكثر من ١٥ مليون كيس ذهب كضريبة جمارك وانهُ يدخل الى تلك المدينة يومياً أكثر من الف مركبة حاملة للأقمشة الحريرية النفيسة وادعى أيضاً بانهُ شاهد بعينه في مرفأ إحدى المدن الاسيوية خمسة آلاف سفينة وانهُ يوجد في حوض نهر الأزرق بالصين من المدن العامرة والمكتظة بالسكان ما لا يدانيها عدداً في جميع أحواض الأنهار في الديار المسيحية او في بلاد حوض البحر المتوسط. أما بلاد اليابان فهي تزخر بالذهب الخالص حتى ان قصر الملك فيها قد بنيت جدرانه وأرضه بالذهب الخالص

***

لا نعرف على وجه التحقيق ما هي العوامل التي دفعت ماركو بولو الى ملء كتابه بهذه الأكاذيب والمبالغات غير المعقولة الا أننا نكاد نجزم بأن أباءه قد أثرت كثيراً في عقول بعض المغامرين وجعلتهم يتحفزون للقيام برحلات محفوفة بالاخطار ليتمكنوا من الوصول الى الهند والاغتراف من كنوزها الثمينة. وبينما كانت أنباء ماركوبولو تنشر بين الناس في ديار الغرب كان الافرنج قد نقلوا أثناء الحروب الصليبية كثيراً من الآراء والمعلومات الجغرافية التي كانت مجهولة بفضل اتصالهم بتجار العرب الذين كانوا أرقى منهم علماً وأكثر ولعاً بالأسفار التجارية فالعرب هم الذين نقلوا للافرنج علوم اليونان الذين كانوا يقولون بكروية الارض وحين ذيوع هذا الرأي الجديد في شكل الارض أصبح في حيز الامكان ذهاب السفن الفرنجية الى الشرق عن طريق أفريقيا الجنوبية وهكذا انسمت الآمال وشحذت الهمم بين المغامرين المتلهفين للاغتراف من كنوز الشرق الخلاب

والسلع الشرقية التي كانت تطلب بكثرة في متاجر الغرب كثيرة منها العنبر الرمادي الذي كان يباع كالذهب صلبة فاذا ما عرضت على نار حامية فاحت منها رائحة ذكية أخاذة وقد اختلفوا في تعيين مصادر هذا العنبر فقيل انهُ يوجد بتة في الصخور الواقعة في وسط البحار او على

شواطئها وفي جوف الأسماك وقال آخرون بانهُ هو نبتة في قعر البحر مثل الاسفنج او انهُ يستخرج من جوف سمك معروف باسمه ومن الخرافات الشائعة في شبه جزيرة ما لايو ان العنبر الرمادي هو عبارة عن براز متصلب لطير ضخم الجسم يجمعونه من بين الصخور في بلاد ذلك الطير والمعروف منذ القدم ان العنبر يكثر على شواطىء المحيط الهادي وأحسن اجناسه توجد في جزر افريقيا الشرقية وفي مدينة زهار الواقعة على بحر عمان حيث يلتقطه الأهلون نيلاً وهم ممتطون ظهور إبلهم تحت أشعة القمر فاذا ما اقترب الراكب من العنبر بين الصخور نبه جمله الى وجوده بسبب قوة الشم فيه . وقد كان يوجد في مدينة عدن تجار يتجرون كثيراً بتجارة العنبر فينقلونه الى الاسكندرية ليبيعوه الى تجار الفرنج والى بغداد ليوزع منها على سائر الأسواق الشرقية . وقد وجد العنبر في بلاد الاسبان والبرتغال الاّ انه أقل جودة من عنبر البلاد الهندية وسائر شطوط المحيط الهندي

والبلسم مادة زيتية ثمينة تخرج من نشرة شجرة تدعى بهذا الاسم وقد كان الناس في القرون الوسطى يزورون المطرية الواقعة قرب القاهرة حيث توجد مياه معدنية . كانوا يعتقدون بأن السيدة مريم العذراء كانت استراحت هناك حين هاجرت لمصر مع ابنها وحنت في المطرية تنمو شجرة البلسم التي يستخرجون من نشرتها مادة البلسم الزيتية وكانت مزرعته ملكاً للحكومة المصرية وعملية استخراج المادة المذكورة الثمينة تجري تحت اشراف موظفين اخصائيين وكانت تهدى لرجال السلك السياسي ولسائر امراء الدولة ورجالها العظام وكان يرسل منه الى المستشفيات ويباع القسم الباقي بأثمان حسنة وكانت الحكومة تسمح لموظفيها بأن يأخذوا بعض غصون الشجرة وأوراقها التي يمكن الاستغناء عنها فيغلوها ويأخذوا منها بلسماً رديئاً الاّ انه كان يباع أيضاً بأثمان مناسبة . وفي خلال القرون الوسطى لم يكن احد يشتغل باستخراج البلسم سوى رجال الحكومة المصرية على ان شجرته لم تكن خاصة بالقطر المصري فقد نقلت الى بلاد العرب ثم اخذت البلاد المجاورة تستوردها من الحجاز . وقد استنبتت في مدينة اريحا الفلسطينية حيث كان الاهلون يشقون قشرتها وفقاً للطريقة التي فصلها العلامة عبد اللطيف في بحثه عن بلسم المطرية . وقد شحت مستنبتات المطرية في ابان الحروب الصليبية وكادت تنقرض وحين أرادت الحكومة المصرية احياءها استحضرت فسائلها من البلاد الحجازية

وصمغ المستك (جاوا) كان تجار العرب يستوردونه من جزيرة سومطرة ويسمونه (لبان جاوا) ومنه اشتق اسمه البرتغالي (بنزاوى) والافرنسي (بنجوان) وقد كانت سوقه الرئيسية في الاسكندرية حيث يباع بأثمان باهظة . وكان ملوك مصر يقدمونه كهدايا ثمينة لرجال الجمهورية البندقية

وخشب الصبركان مرغوباً فيه جداً بسبب الرائحة الذكية التي تخرج منهُ حين حرقه وهذا البخور لا يزال مستعملاً في بلاد الشرق . وكان الخلفاء والملوك يدخرون منهُ كميات كبيرة يستوردونها من بلاد آسام الهندية التي كانت تدعى قديماً (كاروبا) واليها نسب اسم أحسن جنس منهُ فيقال عنهُ (خشب كروبي) . ويوجد منهُ جنس أقل جودة كانوا يستوردونهُ من الهند الصينية . وشجرة الصندال الليمونية لها مادة عطرية حادة ومرغوب فيها جداً تباع بأثمان عالية والنوع الأبيض منها أقل رواجاً من النوع الأحمر الذي لم يكن يقتنى فقط لرائحته الذكية بل للون الاقمشة أيضاً وكان يرد من الهند وجزيرتي سيلان وتيمور

والكافور جاء ذكره في القرآن الكريم وكان القدماء يعرفون خواصه الطبية . وقد ذكر علماء الجغرافية العرب تفصيلاً عن تجارة زاروا أماكن اصدار الكافور وجلسوا تحت شجره . وقالوا انهُ يستخرج كمادة مائعة بعد شق جذع الشجرة وأحسن أجناس الكافور ما كان يستورد من جزيرة سومطرة . ولا تزال هذه الجزيرة مشهورة باصدار هذه المادة الطبية الثمينة على انهم استخرجوا الكافور في الصين من شجرة أخرى تختلف عن شجرة جزيرة سومطرة قليلاً

والدارشين أو الدارصيني وسماها بالفارسية خشب الصين هي من السلع المرغوب فيها وقد ضاع اسم البلاد المصدرة لها في ظلمات العصور الغابرة . وكانت مرافىء الشرق الادنى تشحن منهُ بكميات وافرة منذ القرن الثامن الميلادي . ولوحظ أن رجال الكنيسة في ذلك العهد وما بعده كانوا يتهادون البهارات والروائح الذكية المختلفة وبينها الشيء الكثير من الدارصيني

ولقد ظلت السوائل العطرية تحضر في اوربا منذ العهد الميروفنجي باستخدام زهور القرنفل المجففة وكان يؤتى بها من الشرق وتباع بأثمان أعلى من الفلفل . وقد تكلم ابن بطوطة عن هذه الزهور حين بحثه عن جزيرة سومطرة في رحلته الشهيرة وهي أزرار الزهر المجفف المغلق لضرب من شجر الريحان وعلى انواع مختلفة ذي رائحة ذكية وأكثر الاقطار زراعة لهُ هي زنجبار ويستخرج منهُ زيت القرنفل المستعمل في مداواة الأسنان وفي الروائح العطرية

وللمرجان أنواع شتى كانت تشحن من غربي البحر المتوسط الى الهند والصين وكانت اماكن اصداره في مدينتي بون الجزائرية وسيبه المراكشية على أن أحسن اجناسه كان يصدر من مرفأ صغير بالقرب من مدينة سوسه يدعى بالخرز نسبةً الى هذه الصناعة

وزراعة القطن في القرون الوسطى كانت منتشرة في بلاد الشرق على أن أجود انواعه كانت تستنبت في أراضي حماه وحلب . ومما يؤسف لهُ أن هذه البلاد لم تعد تعنى بهذا المحصول الذي له المقام الممتاز في الصناعات النسجية الحاضرة . وقد زرعت أنواع أخرى من القطن أقل جودة من الحوي والجلبي في سهول كيليكيا وفي أراضي عكا واللاذقية وقبرس فكانت السفن

الشرقية تروح وتغدو حاملة الاقطان الى البلاد الاوربية من الموانىء السورية ومن الاسكندرية. ولابدَّ من الاشارة هنا الى أن زراعة القطن لم تكن معروفة في القطر المصري بل كان التجار ينقلونهُ اليهِ من العراق والهند وايران فيأخذ السكان ما يحتاجونهُ لمعاملهم ويصدرون الباقي الى البلاد الافرنجية

وكانت بلاد حضرموت العربية تصدر البخور ويقول ماركوبولو في رحلته أن البخور كان يشحن من مدينتي شحر وظفار في حضرموت. وذكر ذلك أيضاً جغرافيو العرب وأيد هذه الرواية الرحالة كارتر حين قام بسياحة في جزيرة العرب (١٨٤٤ — ١٨٤٦) فقال انهُ رأى أشجاراً في أراضي المدينتين المتقدم ذكرهما تؤخذ من قشرتها بعد شقها مادة لزجة يضاهي هي البخور بيعهِ ويوجد من هذه الاشجار في بلاد الصومال وقد أصبحت الآن المصدر الوحيد للبخور. وكان التجار العرب يستوردونهُ من مرافىء حضرموت الى بغداد والى تبريز ومنها كان يوزع على سائر الأسواق العالمية. أما ما كان يباع منهُ في الاسكندرية فانهُ أقل جودة وأرخص ثمناً. وقد كانت العادة أن يحضر سلطان حضرموت بيع البخور بنفسهِ فيشتري القنطار الواحد منهُ بنحو عشرة دنانير ذهبية ثم يبيعهُ للتجار بستين ديناراً أو أكثر من ذلك

***

لقد كان أطباء العرب يؤمنون كثيراً بفوائد جذور نبات يدعى (خولنجان) وهي كلة مأخوذة من كلة أخرى صينية هي (خالنجان) وهذه الجذور كانت تستخدم كعلاج أو تضاف الى بعض الأطعمة نظراً لخواصها المهيجة وقد بيعت في جميع مرافىء الشرق الأدنى ولها نوعان الأول ذو طعم مر ولون أحمر داكن ورائحة جميلة وكانوا يستوردونهُ من الصين ويصدرونهُ الى أوربا أما النوع الثاني فهو أقل رواجاً وجودة وأخف وزناً من الأول وكان يؤتى بهِ من بلاد الهند

والصبغ، أصلهُ عصارة تستخرج من ساق شجرة بعد شق قشرتها وتكثر هذه الأشجار في بلاد اليونان وفي آسيا الصغرى ويوجد في الهند والهند الصينية أشجار تنمو عليها حشرات صغيرة تشق لحاء ساق الشجرة فتخرج منها مادة لزجة تتصلب فيما بعد ويكون لونها حينئذٍ أحمر فيستخدمونها في تحضير بعض الألوان وفي الأمور الطبية

وكان يباع العاج في الاسكندرية وعكا وقاغوسطة وعدن ويرد اليها من بلاد الحبشة التي كانت تصدر أجود الأنواع. والفيل الافريقي أقوى وأمتن من الفيل الهندي وله أنياب أطول وأصلب. لذلك كان الهنود يستوردون العاج من بلاد الحبشة علاوة على ما لديهم منه. وأهم اماكن اصداره كانت تقع على شواطىء البحر الأحمر وزنجبار وجزيرة مدغشقر

وأحسن انواع الكتان ما كان ينبت في القطر المصري حيث أقيمت مصانع كثيرة لغزله ونسج أقمشة مرغوب فيها جداً منه وكانت تصدر المادة الغفل منهُ من دمياط والاسكندرية الى سائر موانىء البحر المتوسط . وقد اشتدت الكتان في اراضي نابلس الفلسطينية الا أن المحصول المصري كان مرغوباً فيه اكثر منه حتى ان الحكومة المصرية كانت تعاقب من يخلط هذين الصنفين في معامل النسج وتحرص على ان تكون الأقمشة الكتانية المصرية منسوجة من المحصول المحلي وحده . ويفهم مما تقدم ما كان للكتان من الاهمية في الديار المصرية

والمسك مادة يفرزها حيوان المسك وتخرج من غُدة قرب سرته . ويقول مؤلفو العرب ان حيوان المسك يعيش في البلاد الواقعة بين التبت والصين وفي آسيا الوسطى والهند الصينية ويقال ان رائحة المسك لا تكون مستحبة عند خروجه من الغدة فاذا ما تعرضت تلك المادة الى الهواء امتكت الآية وانقلبت الرائحة المستكرهة الى ذكية حادة . وقد قيل ايضاً ان حيوان المسك حينما يشعر بامتلاء غدته يتحكك بالصخور ليفرز مادته الثمينة عليها ولهذا السبب يطوف طالبو هذه المادة الجبال والاودية في البلاد المعروفة بالمسك ليجمعوها

والزعفران مادة كانت مرغوباً فيها جداً وكانت تضاف الى بعض الأطعمة الشرقية وأحسن اجناسها ما كان يؤتى به من كيليكيا وقد عرفها الغربيون منذ الاحقاب الأولى واستخدم الزعفران في كتابة الاحرف الجميلة نظراً للونه الاصفر الذهبي اللماع . ويعرف الفرس انواعاً مختلفة للزعفران أروجها ما كان ينبت في جوار اصفهان وهمذان وحلوان واستخدمه الاطباء في تحضير بعض الأدوية

ونقل العرب حين حكموا القسم الغربي من حوض البحر المتوسط دودة القز فأدخلوها الى اسبانيا والى جزيرة صقلية واستخرجوا الحرير منها في غرناطة ثم حملوه الى مصانع النسج في مدينة المرية حيث نسجوا أحسن انواع الحرير على ان تجار جنوا كانوا يستوردون الحرير الغفل من شيروان الفارسية ثم نافسهم في هذه التجارة الرابحة البنادقة . واشتهرت ايضاً بلاد طبرستان ودمشق وحماه وحمص بصنع الحرير ونسجه

وكان قصب السكر يزرع في سهول الهند والهند الصينية وفي القسم الجنوبي من بلاد الصين الا أن سكان هذه الديار كانوا يجهلون صنع السكر ويكتفون باستخراج العصارة السكرية واستخدامها في شؤونهم اليتية . اما السكر باشكاله المختلفة فلقد صنع لاول مرة في مدينة جندي شابور ايام الخلافة العباسية . وبعد صنعه انتشرت زراعة قصب السكر في مقاطعة خوزستان انتشاراً كبيراً نظراً لجودة الجو فيها وملاءمة التربة واتقان اساليب الري . وكان الخلفاء العباسيون يتسلمون من أهل خوزستان سنوياً كضرائب كمية من السكر تقدر قيمتها بثلاثة ملايين دينار

وقد عرفت بغداد بصنع السكر وتحضير الحلويات والاشربة السكرية الممتازة وجدت المواسم الاسلامية الاخرى حذو بغداد فأنشئت مصانع للسكر وملحقاته في دمشق والقاهرة وغرناطة وهاجر به طائفة من صناع السكر بالقاهرة الى بلاد الصين في ايام فلاي خان — وهو أول امبراطور مغولي في الصين — وعلموا اهل تلك البلاد طريقة صنع السكر وذلك باضافة كمية من البوتاس الى العصارة السكرية المستخرجة من قصب السكر

وقد زرع قصب السكر بنجاح في نواحي طرابلس الشام وفي شمال افريقيا وفي بلاد الاندلس وراجت صناعة السكر في جزيرة صقلية ايضاً وكلمة (مصارة) المستعملة الآن في لغة اهل هذه الجزيرة مأخوذة من كلمة مصرة العربية وهي التي كانوا يدعونها لعصر قصب السكر في الجزيرة واستخراج العصارة السكرية منها

***

ولم يعرف الافرنج شيئاً عن طريقة صنع السكر الاّ بعد ان جاءوا لسورية في الحملة الصليبية الاولى ورأوا المصانع في طرابلس الشام فنقلوها الى ديارهم وانشئت هذه المصانع في بعض مدن جزيرة قبرص

وزرع قصب السكر في القطر المصري ولاسيما في جوار دمياط ورشيد حيث انشئت عدة معاصر كانت تدار بالجاموس لعمل السكر باحجام واشكال مختلفة

وللشرقيين ولع كبير باقتناء الأحجار الكريمة وتوجد مناجم الزمرد على حدود بلاد النوبة وقد استغلها الفراعنة ومن بعدهم البطالسة والرومان والعرب وظل الاستغلال قائماً حتى أواسط القرن الرابع عشر الميلادي ثم أهملت تلك المناجم بسبب نفاد الزمرد منها. والزمرد نوعان الاول كان مرغوباً فيه في الهند والصين والثاني كان يشحن للبلاد الأوربية

واستخرج الياقوت الاحمر من الأراضي المصرية الاّ ان أحسنه كان يؤتى به من جزيرة سيلان التي اشتهرت بهذا الحجر الثمين وسماها العلامة البلاذري بجزيرة الياقوت . وقد مهر سكانها في تجميل الياقوت وصقله فكانوا يعرضونهُ على نار حامية خلال عدة ساعات ليزيدوا في رونقه وجمال لونه واستخرج ياقوت أحمر قانٍ من الهند الصينية الاّ انهُ أقل قيمة وصلابة من حجر سيلان . واعتاد الملوك والأمراء بالشرق احتكار الياقوت وبيعه بأثمان مرتفعة وكان يستخرج حجر الفيروز الثمين من بلاد كرمان وخراسان . وكانت بلاد الهند تشحن معظم عقيقها وياقوتها الى اوربا عن طريق مصر . واشتهرت الهند بامدار الناس الاّ ان الياقوت كان يباع في كل من بغداد والقاهرة خلال القرن الثالث عشر بأثمان أغلى من الناس نظراً لتهافت الملوك والأمراء على اقتنائه وتفضيلهم إياه على سائر الأحجار الكريمة

وكان للؤلؤ مصايد كبرى في كل من الخليج الفارسي ومضيق بلك الواقع بين شبه جزيرة الهند وجزيرة سيلان . وتقع مصايد اللؤلؤ في الخليج الفارسي في المنطقة البحرية التي تحيط بجزيرة البحرين وفيما جاورها من بحر عمان قرب مدينتي عمان والقطيف

أما منطقة اللؤلؤ الثانية في جزيرة سيلان فلقد عرفها جغرافيو العرب وذكروها في مؤلفاتهم وكانت تستخرج منها لآلىء نفيسة في أيام العلامة الادريسي . وأهم أسواق اللؤلؤ كانت في بغداد وتبريز والسلطانية وسمرقند

***

وقال ابن بطوطة عن صيد لؤلؤ البحرين في الجزء الاول من رحلته ما يأتي : —

« ومغاص الجوهر فيما بين سيراف والبحرين في خور راكد مثل الوادي العظيم فاذا كان شهر ابريل وشهر مايه تأتي اليه التوارب الكثيرة فيها الغواصون وتجار فارس والبحرين والقطيف ويحمل الغواص على وجهه مهما أراد ان يغوص شيئاً يكسوه من عظم الفيل وهي السلحفاء ويصنع من هذا العظم أيضاً شكلاً يشبه المقراض يشده على أنفه ثم يربط حبلاً في وسطه ويغوص ويتفاوتون في الصبر في الماء فمنهم من يصبر الساعة او الساعتين فما دون ذلك فاذا وصل الى قعر البحر وجد الصدف هنالك فيما بين الاحجار الصغار مثبتاً في الرمل فيقلعه بيده او بقطعة بحديدة عنده معدة لذلك ويجعلها في خلالة جلد متوطة بشقه فاذا ضاق نفسه حرك الحبل فيحس به الرجل المسلك للحبل على الساحل فيرفعه الى القارب فتؤخذ منه الخلالة ويفتح الصدف فيوجد في أحوائها قطع لحم تقطع بحديدة فاذا باشرت الهواء جمدت فصارت جواهر فيجمع جميعها من صغير وكبير فيأخذ السلطان خمسه والباقي يشتريه التجار الحاضرون تلك التوارب .... »

ويقولون انه حينما تدخل حبة من الرمل او من اي جسم آخر في الاصداف يكسوها حيوان اللؤلؤ صدف الدر ويتكوّن من ذلك اللؤلؤ

ولقد كان للتوابل اهمية عظيمة في تهيئة الاطعمة وأهم هذه التوابل الفلفل وجوز الطيب والسباسة والوانلا والقرفة وخيار الشنبر والقرنفل والزنجبيل وما شاكل ذلك ولها رائحة ذكية وطعم حريف وتستعمل في اعداد الاطعمة وتجفيفها للحفظ وتستخرج من عدة اجزاء من الاشجار التي تجود بها غير ان أغلبها من ثمارها وحبوبها وبعضها من القشر الداخلي او الخارجي والبعض الآخر من الجذور ويرجع الفضل في طيب شذاها الى الزيوت العطرية بها . والتوابل كلها من محصولات الهند والهند الصينية وجزر الهند الشرقية

مقارنات

ذر الورى يغلطوا في الدهر ما شاءوا
فهم لهذا الى شيـــاهم جاءوا
واعذر بصيراً اذا طاشت نواظره
فقد يرى غير أن النقص عياه
وارحم ضعيفاً عن الحالات يحملها
فالساعُ تثقـــل والأيام أعباه
الماء لو كان يدري من سيشربه
لعله كان لا يجـــري له الماه
والشمس لو عرفت من يستضيء بها
لعله كان غضّ النورَ إغضاه
سل ناضر النبت مزهوًّا برونقه
هل تستبين له في الافق أنواه
إن يحرق الثلجُ هذا النبت منهمراً
فما له من حريق الثلج إطفاه
ماذا يفيد جلاء اللون مرتحلاً
لا يستقيم له نصحٌ وإيصـــاه
ولا يصحُّ اجتهاد العقل فيه له
فالعجز والزور تأويلٌ وإفتاه
يا عابر الدهر أقصرْ عن تفهمه
لا النور نورٌ ولا الظلماء ظلماه
ما طريدا شعور أنت شاعره
لم يتسع لهما جَنْبٌ وأحناه
والحسن والقبح أخلاق وأمزجة
والحب والبغض أطوارٌ وأهواه
والسعد والنحس احوالٌ وأقضيةٌ
والخير والشرُّ عاداتٌ وآراه

خليل شيبوب

التعبريون

للاب انستاس ماري الكرملي

١ — تصدير

في لغتنا العادية ، الفاظ مترادفة ، يُرى بينها ما يشبه الكلم السامية ، ومنها ما يشبه الحروف الياقية ، ومنها ما يضاهي الكلم الحامية . وهذا دليل بيّن على أن ابناء يعرب اختلطوا بأمم مختلفة اللغى والعناصر ، والعروق ، فاقتبسوا منهم مفردات ، كما أن مستعربهم اخذوا منهم أوضاعاً ، أدخلوها في ألسنتهم ، حتى اختلط الحابل بالنابل ، وتعذر عرفان تلك الأصول ، فلا يُدرَى اليوم أأخذها العرب من الأعاجم ، أم استعارها هؤلاء من اولئك . وعلى كل حال ، اصبحت دراستها من ألذ المباحث ، لما فيها من العودة الى القرون الأول ، والوقوف على أسرار لغى تلك الأمم ، ودقائق نطقهم بها ، على مختلف الوطن والزمن

والأدلة التي تثبت هذه الحقيقة اكثر من ان تحصى ، وربما تقع في مجلد ضخم ، كله بدائع وروائع ، ولما كان هذا الموضوع يخرجنا الآن عن بحثنا الذي أرصدنا له المقال ، نذكر شاهداً واحداً ، ليقف القارىء على ما نشير اليه . وهو كلمة (شهر) . فهذه الكلمة سامية الوضع ، فهي في الارمية (سَهْرَا) ومعناها (القمر) ، لأن حساب ايام الشهر ، يعرف من القمر ، فهو مقياس ايامه منذ اقدم الأزمنة ، وعند جميع امم الشرق والغرب . ومن اسماء (القمر) في لغتنا (الساهر) و (الساهور)

وفي لساننا كلمة أخرى تدل على الشهر هي (الناص) ، بنون مضمومة ، فميم مفتوحة ، فألف ، فصاد . فهي مقلوب احرف اليونانية Mènos (مانُص) المشتقة من Mènè ومعناها (القمر) . وهذه الكلمة اليونانية يجاريها الفاظ، في كثير من ألسنة ديار الغرب كالهندية الفصحى (السنسكريتية) ، والفرندية ، والفارسية ، والأرمنية ، والالبانية ، واللاتينية ، والانبرية ،

والارلندية القديمة ، والغاليّة ، والبريطونية ، والتوصية ، والالمانية العالية القديمة ، والانكليزية الكمرية ، والنرمندية القديمة ، والصقلية القديمة ، والتوانية ، والتشيّة ، والبروسية القديمة والفرنسية ، والانكليزية ، والاسبانية ، والايطالية ، الى غيرها من اللغات . ونحن ننقل كل ذلك عن معجم بوازاق اليوناني الفرنسي[1] . ولو تعلم ان في مطبعة المقتطف حروف هذه الألسن ، لصورناها هنا للباحث ، المتطلع الى درس الحقائق وما فيها من الدقائق . ومن اراد تتبع هذا الموضوع ، فعليه بمراجعة هذا المعجم النفيس في ترجمة Mên ، فانه يفيده الفائدة العظمى المنشودة

ويؤخذ من هذا كله ، ان مادة (ن م ص) او (م ن ص) بمعنى الشهر ، غير موجودة في اللغات السامية ، فيستنتج انها دخيلة في المصرية ، وانها جاءتنا ، يوم كان ابناء اسماعيل مختلطين بسائر الأمم والشعوب حينما كانوا في سفن بحر الروم (او البحر المتوسط) . فاستطعنا بهذه الطريقة أن نهتدي الى اصل (نماص) الحقيقي ، لكن الأمر ليس بالهين في مثات ، بل في الوف من الألفاظ ومن جملتها (القمري) وجمعها (القمريون) أو (القمارية)

٢ً — الكبيريون

عند اليونانيين كلة ، هي : Kabeiroi ، وهي باللاتينية Cabiri ، وبالفرنسية Cabires ، وبالانكليزية Cabiri وقد حار علماء اللغة والتاريخ والدين في معرفة اللغة التي وضعت فيها لاول مرة . فمنهم من قال بأنها مشتقة من السامية (كبيرم) ، اي كبار او كبراء ، ومعناها (الآلهة العظمة) او (الكبار) . وذهب فريق الى انها مشتقة من فعل يوناني هو Kaiô (كايو) اي كوى ، وأحرق لان (الكبيرم) او الكبيرين او (الكبار) آلهة اشرار ، هم آلهة النار ، يكوون أعداءهم بالنار ، تحقيقاً لهذه الآية : « لِتَسْتَنَمَّا بِالنَّاسِيَة »

٣ً — عبادة الكبيرين السرية

وكان لهؤلاء الآلهة عبادة سرية ، يؤديها لهم بعض الاقوام من اليونانيين ، ولاسيما اهل ساموثراقة ، ولمنوس ، وانبروس . وقد نقلها الى تلك الربوع الفنيقيون ، ثم اعتورها التبديل والتغيير ، بحسب ظروف المكان ، والزمان ، وروح تلك الديار ، حتى امتزجت كل الامتزاج بعبادات البلاسجين — وقيل : إن لهذه العبادات صلة « خاصة » بالهفستين Hephaestains

(١) Emile Boisacq. — Dictionnaire Etymologique de la Langue Grecque. — Paris. Librairie C. Klincksieck. 1923

باعتبارهم معلمي المتعلمين بالمعادن ، وحواء بدماطر Demeter ، وفرسافونة Persephone ورائية Rhea ، وهكاتة Hecate باعتبارها آلهات انطية

وكان الكبيريون في بدء الامر ، اربعة ، ودعوك اسماءهم : اكسياروس Axieros وأكسيوكرسس Axiocersus واكسيوكرسة Axiocersa وكدمّلس Cadmillus او كسمّلس Casmillus ، ثم زيدت هذه الاعلام بعد مدة طويلة بصور شتى فرة كانت حُلْوان [1] Vulcanus ، والمريخ Mars ، والزهرة Venus وعامر Amor او عرمونية Harmonia وصرة أخرى بصورة دماطر Démeter او كَرَس Ceres ، وفلوطن Pluton وفروسرفنة وهرمس Hermes أو عطارد Mercurrius

وقد التبس على كثيرين لفظ (الكبيرين [2]) بلفظ (الكوريتين Curetes) ، او بلفظ (الكوروبنطين Corybantes) او (بالدكتولين) Dactyles

والخلاصة : لا يمكننا ان نؤكد تأكيداً صادقاً كل ما يتعلق بتلك الآلهة ، اذ ما كان يجوز لاحد أن يتطلق بأسمائهم ، ولا بأنواع العبادات السرية والغامضة التي كانت تؤدى لهم ، وكانت تخفى على كثيرين ممن قبلوا في احضانها

وكان اسم الكاهن الأكبر ، او الحبر الأعظم ، لتلك العبادة الكبيرية (قوبس (Kobs) وهو الذي كان يتقبل شهادة الداخلين فيها ، وآخر حفلة تقام لوقف (الوليج) على اسرار الدين ، تسمى (تنصيباً) Thronismus

يُجلس (الوليج) على تكرمة متلألئة انواراً ، بعد ان يمتحن محناً تشيب لهولها رؤوس الاطفال ، ثم يرقع وجهه ، ويعقد على جبينه إكليل يتخذ من غصن زيتونة ، ويوشح بوشاح بديع ، بينما يكون النوابذة والهرابذة قد أمسك بعضهم بأيدي بعض ، وهم يرقصون رقصاً رمزيًّا هو (الدستيند)

---

(١) يقول المعربون العصريون في تعريبه (فلكان) وهذا غير صحيح لان الحرف الغربي او اللاتيني V لم ينقله قدماء العرب الى فآء او واو ، او باء ، بل الى حرف حلقي ، نحو اما (ح) او (خ) او (ع) او (غ) ولنا كلام طويل في هذا الموضوع . و(حلقان) مأخوذ من مادة (حلق) المشابهة للمادة (حرق) و(حلقان) اله الاسراق والحلق والحاق هو الاصابة بالشر والاهلاك (٢) اليآء في (الكبيري) بمعنى (الكبير) للمبالغة كالاحمري للاحمر في قولك (احمري) معنى (الاحمر) بكثرة او شدة

ويروى ان عائلة Aineas [1] عرف اهل ايطالية بالكيريين ، وأقيمت فيها اعياد اكراماً لهم منذ ذاك الحين

٤ً — الكيريون هم القمريون او التمابرة

بسطا للقارىء ملخص آراء علماء الغرب فيما يتعلق بأمر (كيريين) ليتضح له المعنى المطلوب من (الكيري) وقد اعتمدنا على رسنيول في كتابه Les Métaux dans L'Antiquité La Mythologie de la Grèce Antique par Rossguol — وم . ب . دشارم par M.P. Decharme ووبستر في معجمه الدولي الجديد للغة الانكليزية المطبوع سنة ١٩٢٤

Webster's New international Dictionary of the English Language Editor in chef : W. T. Harris, Ph. D., LL. D. — General Editor F. Sturges Allen

وليقف على الحقيقة وهي أن علماءهم البصراء غير متفقين على أصل تلك اللفظة . فمنهم من قال أنها من أصل سامي ، ومنهم من ذهب الى أنها من مادة حامية ، ولم ير أحد منهم أنها من تركيب يافثي أو هندي

ومهما يكن من هذا الاختلاف ، فاننا نرى في لغتنا ، الكلمة الحقيقية التي نشأت منها (الكيريون) بالتصحيف والتحريف . وأن هذه اللفظة هي (القَمْبَرِيّ) وضبطها بالقاف المفتوحة فالعين المهملة الساكنة ، يليها باء موحدة تحتية ، فراء مكسورة فياء مشددة . وهذه الكلمة قديمة في لغة مُضَر . وانما قيل فيها (كيري) ، لان القاف غير موجود في لغات الغربيين فيعوضها عنها بالكاف والعين لا وجود لها في تلك الالسنة ، لانها من أحرف الحلق ، التي هي : أ ، ه ، ح ، خ ، ع ، ك ، ق ، فقدهم منها : أ ، ه ، ك وأما ما بقي منها فيسقط في كلامهم أو يبدل بأحرف أخر ، وقد سقطت هنا القَيْنُ ، وبقي من احرف تلك اللفظة : الباء والراء والياء . وفي التوراة ، مئات من شواهد الأعلام تؤيد رأينا هذا بلا شاذ واحد ، ولا نادّ

---

(١) ايناس اي Aineas على ما نقلها العلامة سليمان البستاني في (الياذة هوميروس) او بصورة (آياس) كما في قوله (ص ٢٠٦) :

وآيـــاس الدردنيين أمير وهو ابن انخيس اخو الذكر الاغر

ومرة بصورة ايناس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٨) :

لهم في السبا هذا الحديث وفي الثرى ذيوميد لا ينفك ايناس يطلب

وأخرى بصورة أنياس ، كما في هذا البيت (ص ٤٠٩) :

وسار أطول بأنياس مسرعا لمسعاه في طود فرغام يذهب

ولا يجوز ان يبتدأ بالم الواحد هذا البيت . وقال في معنى أنياس في ص ١٢١٦ (هامش) ، وهذا لا يوافق عليه علماء اللغة وفقهاؤها من اليونانيين . ونحن عربناه بصورة (عائن) ، وهو المعنى الذي اتفق عليه أو يكاد المؤلفون بأصول الكلم ودراستها . وكتابة هذا العلم بالاحرف اليونانية يحملنا على اقرار عربيته بهذه الصورة دون غيرها ، ولاسيما لان المعنى يثبت ذلك المبنى اثباتاً صحيحاً لاريب فيه

ومما يؤيد فكرنا هذا ، ما ورد في الحديث النبوي . قال ابن الاثير في النهاية ما هذا نقله : « (اي في كتاب ضربي) انه ان رجلاً قال : يا رسول الله ، من اهل النار ؟ — قال : كل شديد قمطرير . — قيل : وما القمطرير ؟ — قال الشديد على الاهل ، الشديد على العشيرة ، الشديد على الصاحب قال الهروي : سألت عنه الازهري ، فقال : لا اعرفه . وقال الزمخشري : أرى انه قلب[1] عبقري . يقال : رجل عبقري ، وظلم عبقري ، يد قاهرة ، والقلب في كلامهم كثير » اه . ما جاء في النهاية

وما ورد في اللسان وتاج العروس لا يخرج عما جاء في النهاية ، فلا حاجة لنا الى ايراده

٥ . القمري واشتقاقه الحقيقي ومعناه العلمي

هل القمري مقلوب العبقري ؟ — قد يكون ذلك ، لكننا مع كل احترامنا لرأي أحد المفوهين الأقدمين الكبار ، لا نرى رأيه ، والأخذ برواية الآخرين من غير عرضها على محك النقد مما يسد باب الاجتهاد ، ويحول دون تقدم فكر البشر . والذي عندنا : ان كل لفظ يتعدى أحرفه الثلاثة ، يحل الى دونه تركيباً ان كان عربي الأصل او الوضع ، فالرباعي الى السداسي وهذا الى الخماسي ، وهذا الى الرباعي ، والرباعي الى الثلاثي ، وهذا الى الثنائي ، فتنظر حينئذ في هذا التركيب

فرأينا إذن ان القمري يعود في حله (قمر) لأن الياء للمبالغة في المعنى ، و (قمر) يصير في ثلاثيه (قمر) ومعنى (قمّر) الشيء انتهى الى قعره . فاذا سمعت ان فلاناً (قمّر البئر)، فمعناه : نزل اليها حتى انتهى الى قعرها ، و (قمر) الاناء : شرب ما فيه حتى انتهى الى قعره ، و (تقمر) الثريدة : أكلها من قعرها ، و (قمر) فلاناً : صرعه كأنه صار الى قعره أي نهاية أسفله . و (قمر) النخلة : قطعها من قعرها أي أصلها . الى آخر ما هنالك من الأمثلة

ثم ان مادة (قعر) قد ترد الى الثنائي فتصير (قرّ) ومنه (القرار) لما قُرّ فيه ، أي ثبت وسكن فيه ، و (القرار) أيضاً : المطمئن من الارض ، والمستقر الثابت منها . فقولنا (القمري) معناه : الذي يوصلك بشدته وظلمه وعسفه الى آخر ما يمكن أن تصير اليه . وهذا هو من مزايا وأعمال أولئك الآلهة أهل النار ، فانهم أهل جور ، وجبر ، وبغي ، وطغي ، الى ما ضارع هذه الصفات الذميمة . فأنت ترى من هذا التحليل اللغوي الوجيز : ان العربية حلالة المشاكل ، منزلة المعاضل ، مجيبة عن كثير من المسائل الجلائل !

(١) نحن لا نرى رأي الزمخشري بل نرى ان الكلمة تنظر الى اليونانية Hyperkheiria ومعناها : يفوت او يتجاوز اليد ، أو بعبارة أخرى : لا تصل اليه يد المقتدرين من البشر ، وهي أيضاً من القاب (جوبتر) أي Hèra التي يسميها الرومان يونون Iunon وهي من آلهة الخرافات الرومانية واليونانية أو من مزاعمهم الدينية

سقوط الشعر

للدكتور عبده رزق
طبيب مستشفى الميناء في الفاو بالعراق

الشعر اعضاء خيطية الشكل بارزة من طبقة الجلد الخارجية ومثبتة في اكياس او حفر صغيرة كائنة في أعمق جزء من الجلد ، وبعبارة أخرى في ادمة الجلد . وتقسم الشعرة من الناحية التشريحية الى ثلاثة اقسام وهي من أعلى الى أسفل : الساق والجذر والبصيلة. وتمتاز أدمة الجلد باحتوائها على حليات الشعر وغدد العرق وأعصاب وأوعية دموية وعضلات وغدد دهنية . وعلى نشاط هذه العدد في افرازها يتوقف لمان ونضارة الشعر . بينما البشرة ، وهي الطبقة الظاهرة من الجلد ، لا تحتوي على شيء من هذا كله ، بل تقوم فقط مقام الغطاء للأدمة

ويوجد على جسم الانسان ثلاثة انواع من الشعر : شعر طويل ليّن : وهو شعر الرأس والعارضين (شعر اللحية) وكذا شعر الصدر احياناً ، وشعر قصير صلب : وهو شعر الحواجب والأهداب والأنف والأذن الخارجية ، وشعر لين زغبي : ويوجد على جميع سطح الجسم ماعدا الشفتين وراحة اليدين وأخمص القدمين والوجه الظاهر لفاصل اصابع اليدين والقدمين وبعض اعضاء أخرى

والفروق الجوهرية بين هذه الانواع هي ان شعر الرأس ينبت من جلده بزاوية مائلة. أما شعر الاهداب (الرموش) فينبت عمودياً تقريباً . ثم اننا نجد في شعر الرأس عضلات دقيقة جداً ليس للانسان اي سيطرة عليها اي انهُ لا يمكنهُ تحريكها بمحض ارادته، لكنها اذا انقبضت بسبب الخوف او الذعر الذي ينتابهُ احياناً ، أحدثت عنده انتصاباً في شعر الرأس، فيقال في هذه الحالة ان فلاناً (وقف شعر رأسه) . !

واذا ما اردنا ان نفحص مجهرياً القطع العرضي لشعرة ما نلاحظ انها مؤلفة من خلايا يشكل ثلاث طبقات دائرية ، والطبقة الوسطى من هذه الخلايا تحتوي على مقادير من حبيبات البكنت Pigments التي تعطي للشعر لونهُ . والبكنت هذا يختلف تبعاً لاختلاف الجنس

(سلبلة) فاذا خلا الجلد منهُ بالكلية غدا لون هذا الجلد ناصع البياض، وكلما كثر ازداد لون الشعر سواداً ومال الى الأسود الفاحم وهو يزيد شيباً فشيباً تحت تأثير الشيخوخة او في الاصابة ببعض الامراض : ذلك هو السبب في حدوث الشيب عند الانسان . وقد لوحظ ان جلود الزنوج تحتوي على كميات من البكتريا اكثر مما تحتويه جلود الاجناس البيضاء

والقاعدة المعروفة هي أن الشعر يتبدل لونهُ بتقدم السن، غير ان لهذه القاعدة بعض الشذوذ. فكثير من الناس كما لا يخفى نراهم يبلغون العقد السابع او الثامن من العمر والقسم الاكبر من شعرهم لا يزال محتفظاً بلونهِ الأصلي دون ان يطرأ عليهِ تغير يُذكر . وبالعكس نجد اشخاصاً آخرين يتغير لون شعر رؤوسهم ، كله او جزء منهُ ، وهم لا يزالون في سن الثلاثين ، بل في سن العشرين أحياناً وهذه الظاهرة ليست خاصة بالانسان وحده بل أنها تشاهد ايضاً في بعض الحيوانات كالكلاب والقطط والاحصنة وغيرها اذا ذُعرت. ومما يروى في هذا الصدد ان خنزيراً هائج ديكاً فكاد ان يفترسهُ لولم ينج هذا بأعجوبة ، فتبدل اذ ذاك لون ريش الديك في رأسه وعنقه من احمر واسود الى ابيض ناصع بسبب الذعر الشديد الذي اصابه . وان شحروراً فوجيء يوماً في قفصه بهرٍّ وثب عليهِ فتوصلوا في الوقت اللازم لانقاذه من مخالب هذا الحيوان. لكن ريش الطير سقط في الأيام التالية على أثر هذه الحادثة . ولما نبت الشعر الجديد كان كلهُ أبيض ناصعاً. وقد لوحظ ان تبدل لون الشعر عند الانسان يحصل أحياناً خلال بضعة أيام او خلال بضع ساعات تحت تأثير الصدمات العصبية والانفعالات النفسية الشديدة التي تتولد عن الخوف والفزع أيضاً ، وما حادثة الملكة ماري انطوانيت التي تغير لون شعر رأسها جزعاً بين عشية وضحاها عندما عرفت ما سيحلُّ بها من القصاص الرهيب وهي أمام المقصلة ببعيدة عن أذهان القرَّاء . وهكذا قلَّ عن رئيس الديوان الملكي توماس موروس في عهد ملك انكلترا هنري الثامن ذاك الذي حكم عليه أيضاً بالاعدام بالمقصلة فتبدل لون شعر رأسه من اسود الى أبيض في الليلة السابقة لاعدامه

ومتوسط عدد شعر الانسان البالغ يبلغ ١٢٠٫٠٠٠ شعرة عند ذوي الشعر الاسود ، و ١٤٠٫٠٠٠ شعرة في رأس الشقر

أما مقدار شعر الجسم والوجه فيختلف باختلاف السلالة . ويجب ألاَّ ننسى ان الوراثة ولنشاط الغدد ذات الافراز الداخلي يلعبان في ذلك دوراً هامًّا

***

﴿ كيف يسقط الشعر ؟ ﴾ : لشعر الانسان دور معين وواضح جدًّا . فهو ينمو لحين من الزمن ويبقى على طول محدود ثم يسقط ليحل مكانه شعر جديد . وهذا يصل بدوره الى حدّ

معين ثم يسقط كالأول . وهكذا تتكرر هذه العملية في الحياة ، والطبيعة تجتهد ان تملأ الفراغ المتروك بالشعر الساقط . أما حياة الشعرة نفسها فتختلف من ٢ — ٤ سنوات ، ويلاحظ ان الشعر يتساقط باستمرار من قروة الرأس عندما يصل الى نهاية دوره ليشغل موضعه شعر جديد ، وفي الحالات العادية ، اذا كان التوازن موجوداً بين حالتين انظاهرتين : أي سقوط الشعر القديم من جهة ، وبروز الشعر الجديد من جهة أخرى — فشعر الانسان يبقى محتفظاً مقداراً واحداً مدة طويلة دون أن يفقد منهُ شيء يذكر . لكن يحدث أحياناً ان يكون سقوط الشعر غزيراً من رأس البعض ، او ان لا يشو ثانية في رؤوس الآخرين لسبب مرضي ، ففي هذه الحالة يختل التوازن المشار اليه ويبتدىء الشعر الجديد يقل عن الشعر القديم تدريجاً ويحل الصلع قبل الأوان أي في سن الأربعين او الخمسين تقريباً بدلاً من سن الستين كما هي الحال عادةً . فجهل الكثيرين للعوامل المؤدية إلى هذه الحالة ، واعتقادهم بالمعجزات ، يغريانهم باستعمال كل مستحضر يقرأون او يسمعون عنه مما يباع عادة في الأسواق — تلك التي يقال عنها إنها تعيد نمو الشعر — تداركاً للامر قبل استفحاله

غير ان الصلع كثيراً ما يبتدىء عند بعضهم كما قلنا في سن الثلاثين او أقل من ذلك وهذه الحالة من شأنها ان تسبب للشبان الحزن والغم والانقباض ، كأن هذا الصلع الباكر شيء مخيف يطاردهم أنى حلّوا وحيثما ذهبوا . والأماكن التي يختفي منها شعر الرأس أولاً هي كما هو معلوم القسم الأعلى من الجبهة ثم قمة الرأس فجانباه ، وكلما فقد الانسان من شعر هامته في هذه المواضع كلما ازدادت سرعة نموّ الشعر في مؤخر الرأس وجانبيه كأن الطبيعة تعاقض بعضها بعضاً من هذه الناحية

أما عند النساء فحلول الصلع أيضاً لا يختلف عما هو عند الرجال مع اختلاف جزئي فقط ، فهو يبتدئ بنفس السن كما هو عند الرجال لكن سقوط الشعر عندهن يحدث في النصف الأمامي من قروة الرأس دون القمة ، والشعر يخف شيئاً فشيئاً لكنهُ لا يترك بوجهٍ عام مكاناً عارياً تماماً كما هو المشاهد عادةً عند الرجال

***

﴿ أسباب سقوط الشعر المبكر ﴾ : للوراثة كما قلنا تأثير كبير في هذه الناحية . ففي بعض العائلات يبتدىء الصلع عند الرجال في سن الثلاثين . والواقع أن الطب لا يعرف للآن سبباً في سقوط الشعر المبكر في بعض الحالات . انما نعرف أن جميع الأشخاص المصابين بالصلع المبكر يكون شعرهم كثير الدهن قبل سن العشرين وتتساقط منهُ قشور رقيقة بكثرة ، ثم تنقطع هذه القشور عن السقوط لالتصاقها بالجلد بسبب ازدياد المادة الدهنية فيه والتي تغطي قروة الرأس بطبقة ثخينة

كثيرة . واذا حاولنا أن نزيل تلك المادة الدهنية عن الجلد بغسل الرأس أولاً بالماء الفاتر والصابون ثم بالبنزين أو الكحول بدرجة ٧٠ ٪ فالشعر يقل سقوطه ويكون الجلد لا يلبث ان يعود دهنيًّا كما كان

وقد يكون سقوط الشعر المبكر نتيجة ضعف البنية الطبيعي أو من الاصابة ببعض الأمراض الحادة كالحمّى التيفية والحمّى القرمزية والنمونيا والحمرة ، أو مزمنة كالزهري أو السل الرئوي . وكذلك من بعض الأمراض الموضعية كالقرع والاكزيما والحزازة ودمامل فروة الرأس والدمّل والغوبة التي تؤدي الى نفس النتيجة

***

﴿ ما الذي يجب عمله منعاً لسقوط الشعر المبكر ؟ ﴾ : قبل كل شيء يجب أن نقول انهُ لا يمكن شفاء الصلع واعادة نمو الشعر الى حالته الأصلية . فالنجاح الذي حصل باتباع بعض العلاجات يُعزى الى حالات من الصلع الخاص كسقوط الشعر الذي يعقب الحميات كالحمى التيفية مثلاً او الحمى القرمزية . فكل ما يمكن عملهُ من هذه الناحية هو توقيف السقوط وتأخير سير المرض الى بضع سنين غير ان طريقة الوصول الى هذه النتيجة تختلف فيما اذا كان المصاب رجلاً أو امرأة

﴿عند الرجل﴾ : لا بدَّ في هذه الحالة من الاعتناء بنظافة الشعر يوميًّا واستعمال الوسائط المزيلة للمادة الدهنية الزائدة الموجودة على فروة الرأس وأيسر شيء لذلك هو غسل الشعر بالماء الفاتر والصابون . وأفضل صابون لهذه الغاية هو صابون بياما . وبعد الانتهاء من هذه العملية يغسل الرأس جيداً لازالة ما قد يبقى فيه من الصابون ثم يجفَّف ويُفرك بمنشفة خشنة الى أن يحمرّ الجلد . ولا خوف من سقوط بعض الشعر بعد هذا الغسل لان هذا الشعر يكون ميتاً ولاصقاً بالجلد . فباستعمال هذه الطريقة لا يلبث ان يخف سقوط الشعر في الايام التالية بصورة جلية وأكيدة

وبعد ذلك يُفرك الرأس جيداً بالكحول الاثيري او غيره من المستحضرات المفيدة والمعروفة بأنها تساعد على نمو الشعر

وفي حالة وجود قشور كثيرة جافة أو دهنية على الرأس ، يستعمل المصابُ عند الماء مرتين او ثلاث مرات اسبوعيًّا ، مستحضراً من زيت الكاد والكبريت حسب التركيب التالي ، وعند الصباح يُفرك الرأس بالكحول الاثيري

زيت الكاد	٤ غرامات
كبريت مرسب	١ غرام
فازيلين ولانولين (من كل واحد)	١٢ غراماً

ويمكن ايضاً ازالة القشور الجافة بغسل الشعر مرتين في الاسبوع بصابون القطران التي نُعم غسله بعد ذلك بالماء الصافي .

واذا كان سقوط الشعر نتيجة ضعف البنية تستعمل الملاجات المقوية التي يصفها الطبيب وغسل الرأس صباح كل يوم بالماء البارد وفركهُ بمنشفة خشنة حتى يحمر الجلد ويستعمل دهان الكابتال Capitale بالفرشاة ، أو دهان زيت البندق والكينا المجهز Huile de noisettes au quinquina

﴿ عند المرأة ﴾ : العلاج هو نفسهُ غير أن استعماله أصعب مما عند الرجل نظراً لطول الشعر عندهنَّ . وعلى كلٍّ يقص طرف الشعر عن الرأس كله ثم يفصل الشعر الطويل ويقص طرف القصير الضعيف منهُ مرة كل عشرة أيام ، ثم يفرك جلد فروة الرأس غالباً بالكحول الاثيري بقطعة لطن والافضل بفرشاة أسنان بعد فرق خصل الشعر بالمشط على بعد سنتمترين الواحدة عن الأخرى . أما من جهة غسل الرأس بالماء والصابون فلا يلجأ اليهِ عندهنَّ الاَّ مرة واحدة كل ١٠ أو ١٥ يوماً ، ويجفف الشعر بمنشفة خشنة بعد هذا الغسل ويفرش على اليدين ويعمل لهُ (دوش) هواء حار بواسطة المشعَّة Radiateur ، أو يكوى بالمكواة لتجفيفهِ بعد فرشه بين طيات المنشفة

***

بقيت كلمة أخرى حول تمشيط الشعر منعاً لسقوطهِ

قلنا إن جلد فروة الرأس الذي ينبت فيهِ الشعر لا يتحرك . نعم أنهُ توجد عضلات تحت الجلد لكنها لا تقوم في الواقع بعمل ما وليس للانسان أي سيطرة كانت عليها . فالدورة الدموية تكون اذ ذاك بطيئة جداً في هذه المنطقة وبسبب ذلك لا يتغذى الجلد تغذية كافية فيفقد حينئذٍ ما فيهِ من الشعر بكميات متفاوتة مع الزمن . والسبب الذي لاجله تكون النساء أقل تعرضاً بكثير للصلع من الرجال هو لأنهنَّ يمشطنَّ ويحافظنَّ دائماً على شعرهنَّ من تمشيط وتنظيف بالفرشاة واستعمال بعض المستحضرات المعروفة المقوية للشعر وهذه كلها بلا ريب ذات فائدة كبيرة لتنشيط الدورة الدموية في جلد الرأس وتغذية الشعر . وبما ان بصيلات هذا الشعر لم تكن قد ماتت وقت سقوطه فتمشيده وتدليكه في هذه الحالة مفيدان كثيراً . نعم ان مقداراً وافراً من الشعر يسقط في بدء استعمال هذه العملية لكن هذا يجب ان لا يقلق البال لاجله : فالتمشيط او التمشيد لا يسلان الاَّ بمل ازالة الشعر الميت الذي لا بدَّ من سقوطهِ في خلال الايام التالية ، مع تقوية الشعر السليم الصالح الباقي وتنشيطه في الوقت نفسه

رحلة ابن بطوطة

وما تطوي عليه من نبات وشجر

لمحمود مصطفى الدمياطي

— ٤ —

وعند مروره بالجاوة (بلاد المسلمين) ومُلك جاوة (بلاد الكفار) اي للملايو ذكر اللبان والكافور والعود الهندي والفرفل

١ — فقال عن اللبان « وشجرة اللبان صغيرة تكون بقدر قامة الانسان الى ما دون ذلك وأغصانها كأغصان الخرشف وأورانها صغار وقلق ورعا سقطت فبقيت الشجرة منها دون ورقة واللبان صمغ تكون في أغصانها وهي في بلاد المسلمين اكثر منها في بلاد الكفار » — وأقول إن شجرة اللبان تسمى باللسان النباتي Boswellia thurifera, Roxb. = Boswellia Serrata, Roxb.) و(Boswellia Carterii, Birdw.) وفصيلتها البخورية (Burseraceae) وبالانجليزية (frankincense tree) وبالفرنسية (arbre à l'encens) وتنبت ببلاد الصومال وتلال الهند الجافة . وريقاتها مستطيلة متفرجة القمم منشارية الحيفاف مغطاة بشعرات دقاق مُلس . وزهرها عبارة عن عناقيد (راسيات) تنشأ فرادى في آباط الأوراق وتكون أقصر منها . ويعرف صمغها باللُّبان او البخور وبالفارسية « كُندر » [1] وكثيراً ما يتبخر به

(١) frankincense or gum — olibanum وقد جاء في كشف الرموز في بيان الاعشاب للشيخ عبد الرزاق بن احمدوش الجزائري في مادة (كندر) هو اللبان صمغ لبان حار في الثانية يابس في الاولى منه ذكر مستدير الشكل صلب ومنه انثى غير ذلك ومنه الجاوي وهو صمغ لبان بالخليفة والكل سواء في الفعل والاكثار من اكل الكندر يورث الجذام والوسواس والبرص ويقطع من وجع المثانة والحصاة ويرخي الاسهال واذا شرب بالسل قتت الحصا من الكلى والمثانة وأكله يورث الذكاء والبخور به حسن

في معابد الهند ولكنه قد يستعمل ايضاً دواءً مقوياً وقابضاً ومعرقاً

ويصفه الأطباء الوطنيون من الهنود ممزوجاً بالسمن المصفى في علاج مرضى « السيلان » و « السيلان الدم »

٢ — وقال عن الكافور « وأما شجر الكافور فهي قصب كقصب بلادنا الا ان الأنابيب منها أطول وأغلظ ويكون الكافور في داخل الأنابيب فاذا كسرت القصبة وجد في داخل الأنبوب مثل شكله من الكافور . والسر العجيب فيه انهُ لا يتكوَّن في تلك القصب حتى يذبح عند أسطاها شيء من الحيوان والاَّ لم يتكوَّن شيء منهُ والطيب المتناهي في البرودة الذي يقتل منهُ وزن الدرهم بتجميد الروح وهو المسمى عندهم بالحرداله هو الذي يذبح عند قصبه الآدمي ويقوم مقام الآدمي في ذلك الفيلة الصغار »

— وأقول إن شجرة الكافور تسمى باللسان اللاتيني (Cinnamomum Camphora, T. Nees & Eberm.) وفصيلتها الغارية (Lauraceae) وبالانجليزية (Camphor) وبالفرنسية (Camphrier) أصلها من اليابان وجزيرة فورموزا ولا تنبت حتى الآن الا قليلاً في غيرها

وهي شجرة ذات فروع رخوة مُلْس . أوراقها كالجلد نوعاً ما خُضْر نضرة وبرَّاقة من أعلاها وأشحب لوناً من أسفلها ، في الواحدة منها غُدة غائصة عند آباط العروق الأساسية تنتوء من السطح العلوي وتفتح بمسمٍ بيضي من أسفل . وذنيبات الأوراق نحيلة مُلْس وطولها بوصة أو بوصة ونصف

والزهر عبارة عن « بانيكلات » إبطية وطرفية سطية الشكل عُريانة . والزهرات مُلْس من خارجها . ويتحصل على الكافور الصفي من الخشب والفروع والأوراق بطريقة التقطير الجافة وهو ضرب من الستياروبتين[1] المتبقي بعد تحول الاليوبتين او الدهن الأثيري[2] من الشجرة الحية الى بخار . ويتحصل على كافور المتجر من جزيرة فورموزا على الأخص ومنها ينقل الى كانتون بالصين بكميات كبيرة جداً لامداد المتاجر الأجنبية . وفي المدة الأخيرة عزمت اليابان على احتكار الكافور فكان هذا مدعاة لتشجيع غرس اشجاره في البلدان الأخرى حتى أصبح يزرع منها الآن في سيلان نحو الف فدان انجليزي (إيكر) كما أخذت زراعته تنتشر في جهات غيرها

هذا واذا بلغت شجرة الكافور الثالثة من عمرها يمكن ان يستخرج منها الكافور فتقطع

(١) stearoptine (٢) elaeoptene or sethereal oil

الأغصان الصغيرة وتقطر بواسطة البخار ويمكن الحصول منها على ما يعادل ½ ١ في المائة من وزنها (١)

٣ — وقال عن العود الهندي « وأما العود الهندي فشجره يشبه شجر البلوط الا ان قشره رقيق وأوراقه كأوراق البلوط سواء ولا ثمر له وشجرته لا تعظم كل العظم وعروقه طويلة ممتدة وفيها الرائحة العطرة وأما عيدان شجرته وورقها فلا عطرية فيها وكل ما ببلاد المسلمين من شجره فهو متملك وأما الذي في بلاد الكفار فأكثره غير متملك والمتملك منه ما كان بقاقلة وهو أطيب العود وكذلك القماري هو اطيب انواع العود ويبجونه لأهل الجاوة بالأثواب ومن القماري صنف يطبخ عليه كالشمع وأما العطاس فانه يقطع العرق منه ويدفن في التراب أشهراً فتبقى فيه قوته وهو من أعجب انواعه »

— وأقول إن شجرة العود الهندي (٢) تسمى باللسان النباتي (Aquilaria Agallocha, Roxb.) وفصيلتها التيملية او الماترونية (Thymeleaceae) وبالانجليزية (agallocha, agallochum) وبالفرنسية (agallocha, bois d'aloès) تنبت في سيلهت وأسام وهي ضخمة دائمة الاخضرار أوراقها بسيطة متبادلة ذوات ذنيبات وزهرها سيواني الشكل كثير الزهرات البيض وثمرتها علبية منضغطة حجمها ½ ١ — ٢ بوصة

هذا ويتحصل من هذه الشجرة على خشب العود الشهير منذ القدم والذي يستعمل في بلاد الهند دواء وطيباً

٤ — وقال عن القرنفل « وأما اشجار القرنفل فهي عادية ضخمة وهي ببلاد الكفار أكثر منها ببلاد الاسلام وليست بتملكة لكثرتها والمجلوب الى بلادنا منها هو اليسير والذي يسميه أهل بلادنا نوار القرنفل هو الذي يسقط من زهره وهو شبيه بزهر النارنج وثمر القرنفل هو جوز بوا المعروفة في بلادنا بجوزة الطيب والزهر المتكون فيها هو البسباسة الى آخر ما ذكره »

---

(١) وجاء في كشف الرموز المذكور آنفاً في مادة (كافور) بارد يابس في الثالثة وهو صمغ شجرة عظيمة تألفها النسور والكافور فلا يوصل اليها الا في وقت محموم فيؤخذ هذا الصمغ منها ويغسل ويصفى فيصير الى ما ترى من البياض وخاصيته يقطع الجماع كيفما استعمل حتى كثرة شمه ويسرع بالشيب

(٢) وجاء في كشف الرموز كذلك في مادة (عود) هو عود القماري سار يابس في الثانية مثل الصندل يقوي المدة تقوية وشيئاً يقوي القلب وجميع الاعضاء الباطنة كلها ويطرد الرياح ويفتح السدد ويتبع من ذات الجنب ويقوي الدماغ ويذهب برائحة الفم وتروح الاعضاء ويقوي العصب ويفرح

— وأقول ان القرنفل[1] شيء وجوز بوا[2] المعروفة بجوزة الطيب شيء آخر

(أ) فشجرة القرنفل تسمى باللسان الباتي (Eugenia Caryophyllata, Thunb. = Caryophyllus aromaticus, L.) وفصيلتها الآسية (Myrtaceae) وبالانجليزية (clove) وبالفرنسية (giroflier) أصلها من جزائر ملوكا وقد احتكرها الهولنديون في بدء الأمر زمناً طويلاً وأخيراً أدخل الفرنسيون غرسها في « كاين » ومن هناك أدخلت الهند ثم انتشرت حديثاً في أنحاء كثيرة من العالم . وشجرة القرنفل متوسطة الحجم تبلغ في ارتفاعها نحو تسعة أمتار وتجود في الأراضي القوية وعلى ارتفاع ٤٥٠ متر من مستوى البحر وتبدأ في الإزهار في سنتها السادسة ، ويجمع القرنفل ويجفف قبل إصداره وهو عبارة عن البراعم الزهرية المجففة هذا ودهن القرنفل دواء مألوف لوجع الاسنان

(ب) وشجرة جوز الطيب تسمى باللسان الباتي (Myristica moschata, Thunb. = Myristica fragrans, Houtt.) وفصيلتها الميرستيكية (Myristicaceae) وبالانجليزية (nutmeg tree) وبالفرنسية (muscadier) أصلها من جزائر ملوكا ويبلغ ارتفاعها ٩ — ١٥ متراً وهي دائمة الاخضرار وتجود في الأراضي القوية في مستوى لا يزيد ارتفاعه عن ٤٥٠ — ٥٥٠ متر عن سطح البحر ذلك بأن يلقى الثوى في الارض على أن تكون المسافة بين النواة والأخرى تسعة أمتار . وتبدأ الشجرة في الازهار في سنتها السابعة وتستمر على ذلك حتى تبلغ المائة سنة . والثمرة تشبه البرتوقة الكبيرة الصفراء ، وعند تمام نضجها تنفصل القشرة عن الجوزة (النواة) وكلاهما مرغوب فيه لاشتمالها على دهن طيار يجمعها مقوين في التداوي فاذا تعوطيا بكميات قليلة أفادا في تخفيف تطبل البطن بالغازات وسكنا الأوجاع المتعبة ولكن تناولهما بمقادير كبيرة ينشأ عنه تهيج في الدورة الدموية ويكون قاتلها التخدير . هذا وقد احتكر الهولنديون حيناً جوزة الطيب ثم شاطرهم الفرنسيون بعد نزع هذا الاحتكار حيناً آخر الى ان عم الاتجار بها العالم، ويظن أن من أسباب انتشار جوزة الطيب في غير موطنها الأصلي بجزائر ملوكا ان بعض الحمام الكبير الذي يهاجر من تلك الجزائر يبتلع الثمرة ثم يحتفظ بقشرتها ويلفظ النواة فتقع في البقاع الجديدة التي هاجر اليها وتنبت

(١) وجاء في كشف الرموز في مادة (قرنفل) حار يابس في الثانية وقيل حار في الثالثة ينفع القلب والكبد والمعدة وجميع الاعضاء الباطنة ويقطع سلس البول والتقطير اذا كان عن برد ويقتل البطن ويطرد الرياح ويهضم ويدبن عن التامة واذا شرب منه نصف درهم مع الحليب قوى على الجماع ويسخن أورام الفم ويشجع القلب وأصحاب السوداء ويفرح النفس وينفع من القيء والغثيان ويحد البصر اكتحالا وينفع من الغشاوة والبهل ومن خواصه اذا ابتلعت منه المرأة كل يوم سبعة قشراً كاملا لم تحمل والمرأة التي لا تلد تشرب في كل يوم طير درهمين في مرق حمام أو ضان فانها تحمل باذن الله وينفع من الاستسقاء الحمي شرباً وطلاء. (٢) وجاء في الكتاب المذكور في مادة (جوز بوا) هو جوزة الطيب حار يابس في الثانية وقيل في الثالثة وهو يطيب النكهة ويذهب بالبخر ويهضم الطعام ويقوي الكبد والمعدة ويزيل ورم الكبد والطحال الحامي

عودة الملاح

لشاعر العرش البريطاني جون ماسفيلد

[من كتاب « رياح شاردة »
للاستاذ علي محمود طه بمصر بعد ألم]

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً ... متفـــرداً بعبابهِ وسمـــائهِ
أقضي مُنَايَ سفينـــةٌ ممشوقةٌ ... وبروجُ نجمٍ أهتدي بضيائهِ
وصرير دَفَّيْها ، وعزفُ رياحهِ ... وخفـوقُ قلعٍ أبيضٍ في مائهِ
وأرى الضبابَ يرفُّ فوق جبينه ... في شاهبٍ من لونهِ وروائهِ
يجـــلوه ألاَّقٌ رمادي الـــسَّنى ... متطلعٌ بالبحر خَلْفَ فضائهِ

***

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً ... كيما أُلبي المدَّ في طفـــراتهِ
هذا المزمجرُ ، لستُ أنكر صوتَهُ ، ... إنَّ الوضوحَ يشيعُ في نبراتهِ
أقضي مُنَايَ لديه يومٌ عاصفٌ ... يهفو رقيقُ النوم في سُبُحَاتهِ
حيث الرشاشُ المستطارُ وتحته ... زبدٌ يفورُ الرغوُ ملء كُرَاتهِ
وضجيجُ زُمَّحِ مائهِ منخبِّطاً ... بالموجِ وهو يثير من صرخاتهِ

***

يا فرحتي ! للبحر أرجعُ ثانياً ... جوَّابَ آفاقٍ غريبَ مسالكِ
أطوي مسارحَ طيرهِ ، ومسابحاً ... للحوت عبرَ طريقيَ المتشابكِ
حيث الرياحُ كأنما وخزاتُها ... حزُّ المُدى وشَبا الحسام الفاتكِ
أقضي مُنَايَ روايةً محبوكةً ... من نسجِ قرصانٍ طروبٍ ضاحكِ
ولذيذُ أحلامٍ وقد طاب الكرى ... وتزايلتْ صُورٌ حناك تواركي !

عينان معصوبتان ...

قصة مصرية

بقلم محمود كامل المحامي

(ساعة مبكرة من ساعات الصباح . التليفون يدق دقات سريعة ثائرة في غرفة... هو ... فتاة شاب يتخذ منزلا مكونا من غرفتين وصور حوله الى « معمل » يقوم فيه ببحث تماثيله الجديدة. أما هي فهي طرف القاهرة الآخر . « فيلا » تحيط بها حديقة صغيرة في « الزيتون » أحدهما لا يرى الآخر لان مسافة بعيدة تفصل بينهما.)

هي — سعدت صباحاً

هو — سعدت صباحاً يا آنستي . . من أنت ؟

هي — أيهمك هذا ؟ هو — كيف لا يهمني ؟ ألا أعرف من يحدثني ؟

هي — (واحده)

هو — انا واثق من هذا : ان صوتك ليس من الخشونة بحيث يجعلني أشك في انك .. انك فتاة هي — هل بدأت ؟ هو — ماذا ؟

هي — هل بدأت تسخر ؟ هو — أتعرفين عني انني مغرم بالسخرية ؟

هي — يبدو ذلك من نظرتك هو — وكيف تعرفين ؟

هي — رأيتك هو — متى ؟

هي — أكثر من مرة هو — أين ؟

هي — في أكثر من مكان . هنا وفي الاسكندرية هو — ولكن . .

هي — ولكن ماذا ؟ هو — ولكن من أنت يا آنستي ؟

هي — أوه ! انك تشوه جمال حديثنا بهذا الالحاح

هو — أنا لا ألح . ان معرفة اسمك لا تهمني الى الحد الذي تتوهمين

هي — لو لم تكن مغروراً . . . .

هو — عجباً ! أليس من حقي ان أعرف من يحدثني في منزلي ؟

هي — ستعرف هو — متى ؟

هي — فيما بعد .. أترك هذا الآن . اني أريد ان أتعرَّف رأيك في أمر يهمني

هو — رأيي أنا ؟

هي — أجل هو — من أين جاءتك هذه الثقة بي ؟

هي — لست أدري . انهُ شعور قديم يعود الى اليوم الذي رأيت فيه أوَّل تماثيلك الرخامية الصغيرة التي كنت تعرضها في سراي تجران ... ذلك التمثال الذي يمثل المرأة (التجربة) التي تحمل طفلها على كتفها . أتدري ماذا شعرت وأنا واقفة أمامه؟ هو — لا أستطيع ان أجزم

هي — شعرت انك تحمل هم تلك المرأة التي كانت الكآبة تبدو على قسماتها ، وهم كل امرأة تعسة في هذا العالم هو — انني أخاف من هذا المديح

هي — لا تخف ... بالعكس .. سترى بعد ان تعرفني ان هناك أشياء أخرى ستخاف منها هو — مثلاً ؟

هي — اني أعرف أنك لم تحب بعد .. الشيء الذي عليك ان تخافه اذا رأيتني هو أنك مسوق الى حبك الاول ! هو — لو لم تكوني مغرورة !

هي — لا تقلدني ! ولا تسرق كلماتي .. اني أعرف أنك بعد ان سمعت مديحي خيل اليك اني امرأة اعتادت ان تتملق الرجال . أنت واهم .. اني اعتدت على العكس ان أتلقى مديحهم . . اني أنال «نجاحاً» حيثما ذهبت ... هذا الصيف مثلاً ... لقد رأيتك أكثر من مرة في « جليم » مررت أمامي على بعد بضع خطوات . لا بدَّ انك رأيتني ولو أنك كنت تتعمد اخفاء عينيك بتلك « النظارة » ذات الزجاج الاسود ... لقد كنت أرشق وجه في ذلك الشاطىء المحتشد بالوجوه الرشيقة ... لا أذكر ان رجلاً رآني دون ان يغرقني في سيل من كلمات الثناء والاعجاب هو — ولم كل هذه « المحاضرة » ؟

هي — لان الكثيرين يخيَّل اليهم ان المرأة التي تبدأ رجلاً بمشاغلها « التليفونية » لا بد أن تكون دميمة هو — أنا لم اقل ذلك

هي — ولكنك ربما سمعت الآخرين يقولونهُ

هو — اعتدت ألاَّ أصدق كل ما يقال لي

هي — ستصدق ما قلتهُ لك الآن عن نفسي عند ما تراني

هو — اراك تكررين « عند ما تراني » .. كأنك توحين اليَّ ان أطلب رؤيتك ! هي — ألا تريد ؟

هو — دون أن أعرف من أنت ؟ هي — أجل هو — لا أظن

هي — أنت صريح ... لا ... اكثر من ذلك . جريء هو — هذا عجيب

هي — أتراهُ عيباً . اني لذلك أتحدث اليك هو — هأنذا استمع اليك

هي — أترى انك طيب القلب دون ان تعرف هو — يضحكني هذا الوصف

هي — أؤكد لك أنك تظن في نفسك القسوة .. ولذا تسير دائماً عابس الوجه مقطب الجبين .. لقد قلت لك اني رأيتك اكثر من مرة . أتدري ؟ لقد خيل اليَّ ذات مرة بعد أن رأيتك أن أصيح : « يا بني ! »

هو — ولمَ عدلت ؟

هي — لانني كنت اعتزم ان اتحدث اليك كما افعل الآن . ولم اكن أود ان استلفت نظرك اليَّ ...

هو — قلت لك اني استمع اليك هي — هل أنت على عجل ؟

هو — لا .. اني سعيد اذ أجد منك هذه الثقة

هي — صوتك يوحي بي .. ان الموضوع الذي سأحدثك عنهُ له اوثق الصلة بحياتي كلها .. التي تحدث اليك الآن ليست (آنسة) كما خيل اليك . أنها زوجة ... في الرابعة والعشرين ... جميلة كما قلت . تلقت اكبر قسط من التعليم يمكن ان تتلقاه فتاة مصرية . لها ميل طبيعي الى كل ما هو جميل ونقي .. تتذوق الصورة الفنية الموفقة . وتصغي الى النغمة الموسيقية حينما كانت هذه النغمة .... في خرير الماء المتساقط من أفواه «الساقية» التي تجريها بقرتان معصوبتا العينين وسط حقل « العزبة » . أو المرتطم بصخور الجزء النائي البعيد من شاطىء « جليم » حيث يأبى المصطافون والمصطافات أن يذهبوا لانهم يحبون — لسخفهم — الضجة ويأنفون من الهدوء . أو في ارتجاف القطرات المنهمرة على

زجاج غرفتها المغلقة في ليلة ممطرة من ليالي الشتاء . وتقف طويلاً أمام التماثيل التي تعبر عن عاطفة أو فكرة انسانية . يدق قلبها على غيرها . . . وهي ممزوجة بين زميلاتها بسوء ذوقها في اختيار الثياب . . . انه ذوق « أصيل » بشهادة الجميع . . . كما انها تختلف عن الكثيرات من المصريات في أنها تستيقظ من نومها مبكرة لكي تسرع أحياناً بارتداء ثوب أنيق من ثياب « الغرفة » وأحياناً أخرى بارتداء « بيجامة » افرغت في (حياكتها) كل ذلك الذوق الذي حسدتك عنهُ . . . كما أنها لا تذكر أنها قابلت زوجها أو أحداً من أهله . في أية ساعة من ساعات النهار الا وهي متطرة بالعطر الذي جعلتهُ يحبهُ كما تحبهُ هي لانهُ عطر شاعري يرتفع بالروح الى جو أسمى من الجو الذي يعيش فيه الناس . هذه هي المرأة التي تتحدث اليك الآن لتقول لك أنها رغم ذلك كله تعسة التعاسة كلها بل أنها تكاد تكون أتعس نساء الارض

هو — وكيف ؟

هي — لانها تبينت أن زوجها . الرجل الذي أحبته دون سائر الرجال والذي وهبت له أعز ما تملك .. قلبها ... قد خانها

هو — خانها ! هي — أجل . خانها مع فتاة أخرى هو — ولم ؟

هي — وهل هناك أسباب يستند اليها الرجال عادةً قبل البدء بخيانة النساء اللاتي يحببنهم ؟

وسادت فترة صمت طويلة . وخيل اليه ان صوت نحيب بعيد تحمله أسلاك التلفون الى أذنه . وأحس بشعور غريب يستولي عليه نحو تلك المجهولة التي تتحدث اليه ... شعور من الرحمة والرقة والدعة والحنان

هو — وماذا تريدين مني يا سيدتي ؟

هي — لست أدري . انني أبكي الآن وأنا مرتاحة .. ألا يدهشك هذا ! حتى البكاء لا استطيعه امام الناس . انني اعتدت ان أبدو امامهم متظاهرة بالفرح والسعادة . ان من الشاق العسير على شابة مثلي في الرابعة والعشرين ان تثير شماتة الناس بها .. لذلك أتظاهر بالضحك

وقلبي يدمي ... أقسم لك اني أحياناً استغرق في الضحك لأنه الاسباب حتى يتعب صدري ... لانني أكون إذ ذاك تربسة أزمة شديدة من أزمات السخط على هذا الحظ الذي نكبني وأنا بعد في سن لا يحتمل أحوال النكبات ... لم أرتكب ذنباً . انني لم أسيء قط الى أحد . لا أذكر انني اقترفت اثماً استحق ان أجازى عليه هذا الجزاء

هو — أنك اذكى من ان تضعي هذا الضعف يا سيدتي . من يدري ؟ ربما مهدت هذه العاصفة التي اجتاحت منزلك لحياة أرغد وأسعد . اني أذكر قولاً لألفونس دوديه أجراه على لسان احدى بطلات قصته الخالدة «ساقو» هل قرأتها ؟

هي — أجل . . وأكاد أحفظها عن ظهر قلب . . ما هو ؟

هو — « اذا أردت ان تحتفظي بالرجل جيداً فاتركي له شيئاً من الحرية والظاهري بأنك لم تفطني الى زلاته »

هي — أرجوك ألا تنصحني على الوتيرة التي ينصحني بها الآخرون . انني لم أتحدث اليك لأتلقى هذه العظات التي أعرفها قبل ان أسمعها منك

هو — آسف يا سيدتي اذ جعلتك تورين فجأة بسبب هذه النصيحة . هل لي ان اسألك مرة ثانية « ماذا تريدين مني أذن ؟ »

هي — أن تدعني أبكي هو — فقط ؟

هي — أجل . دعني أبكي فقط . لانني محرومة من ان أبكي أمام الناس المتصلين بي . القريبين مني . ان والدتي نصحتني كما نصحت عجوز قصة « ساقو » الصغيرة ابرين ان اغض عيني عن خيانة زوجي واستدلت على ذلك بأن أبي كان في شبابه قد اعتاد السهر خارج المنزل الى ساعة متأخرة من الليل وذاع عنه انه اتصل باحدى الراقصات . فلما تركته مدة طويلة انتهى بأن تاب الى رشده . والتفت الى اسرته . . أنا لا افهم هذا النوع من النصائح لانني لا أطلب من الحياة الا ان اعيش هذه الأعوام القليلة في الجو الذي كنت أحلم به في طفولتي ... هل يزعجك ان ابكي هكذا بين يديك

بضع دقائق في كل يوم ؟ هو — كلا ... ولكن ؟

هي — ولكن ماذا ... أكاد أثق اني أزعجتك

هو — لا ولكن لِمَ اخترتني لهذا الموقف الأليم ؟ ان اقف مكتوف الذراعين امام بدة شابة مثلك تبكي بحرارة

هي — ألا تعرف لِمَ ؟ هو — ربما ... ولكنني اريد ان اسمع منك

هي — آه لو أنك قلت من هذا الاعتزاز بنفسك .. كنت أظن اني أصلب رأياً من أن أضعف امام رجل فاعترف له . وفي أول مرة اتحدث اليه بأمر كهذا ؟ هو — وما هو ؟

هي — منذ رأيتك لأول مرة شعرت بأنك الرجل الوحيد الذي يمكن أن أثق به . اني أعرف نفسي عنيدة وعصبية . ولكن لست أدري ماذا دهاني بعد أن تحدثت اليك .. ألا تشاركني نفس الاحساس ؟ اني أحس .... أحس بأني مسوقة اليك معصوبة العينين . مادة الذراعين ومع ذلك فاني أسير على هدى كاني أعرف أين تقطن على أن أحداً لم يخبرني بمكانك ولو سألتني عنهُ الآن لما استطعت أن أصفهُ لك . اني أتحدث اليك الآن وأنا أضع يدي على عيني كعصابة وأتخيل كل شيء يحيط بك . قل لي . هل أغلقت نوافذ غرفتك لتتقي حر هذا اليوم؟

هو — أجل .. ولكنني أشكو من ألم في عيني اليسرى هي — لِمَ ؟

هو — كنت قادماً بالسيارة من الاسكندرية فأصاب تلك العين هواء بارد أثناء الطريق

هي — أوه ! انك تهمل نفسك كطفل مدلل . أعندك بعض أقراص الاسبرين ؟

هو — أجل ... في درج مكتبي هي — وكوب ماء ؟

هو — اتحدث اليك وأنا أسعى بها هي — تناول هذا القرص

هو — هأنذا أفعل هي — سترى .. أنك ستستريح بعد قليل

هو — ستسخرين مني اذا قلت لك اني أشكو من هذا الألم الشديد منذ أمس وأقراص « الاسبرين » عندي دون أن أذكر أنها هنا

هي — الى ان ذكرتك انا .. اني أكاد أعرف كل شيء عنك دون ان

أعيش معك . لقد كنت اقول لك اني لو عصبوا عيني لأقبلت اليك .. ووقفت امام باب منزلك . ثم فتحته . وصعدت السلم درجة درجة . ثم تقدمت على أطراف أصابعي ووقفت خلفك وأنت تعمل في احدى مسائلك ..

هو — ولمَ هذه العصابة على عينيك؟

هي — لست ادري ! ألم أحدثك الآن عن تلك البقرة التي تربط الى ساقية القرية معصوبة العينين ولو انهم رضوا تلك العصابة ما استطاعت ان تدور حول هذا القدر المحتوم شهوراً وأعواماً .. أنا أيضاً أعرف انني ارتكب خطأ اذ أسعى اليك .. ولكنني أحس بأني مندفعة اليك .. قلت لك ان شيئاً يدفعني نحوك وأنا كما صارحتك عنيدة عصية . ولو أنفقت وقتي في الثورة على نفسي وعليك . ولذا أفضل أن تعصب عيناي لكي أدور حولك كما لو كنت أدور حول قدر محتوم دون ان أتضجر او أثور ...

هو — مدهشة

هي — كنت مدهشة . ولكنني أحس الآن أني كغيري من النساء يتمالين على جميع الرجال، ويخضعن لرجل واحد ..

هو — ماذا تريدين الآن ؟

هي — أراك لا تعلق على كلماتي الأخيرة كأنك توافق على أنك أخضعتني !

هو — ألا أستطيع ان أعرف ماذا ترتدين الآن ؟

هي — (بيجامة) وردية اللون

هو — انني لا أحب لون الورد في ثياب المنزل

هي — .. انتظر قليلاً .. انهم ينادونني هنا « وبعد قليل عادت اليه »

هو — فيم كانوا يطلبونك ؟

هي — لا شيء .. لقد أبدلت (البيجامة) الحمراء بثوب أزرق

هو — انهُ لون مريح

هي — ما هو الازرق في غرفتك ؟

هو — كل شيء فيها .. جدرانها ... بساطها ... غطاء سريرها وستر النوافذ التي انتهى نحتها

هي — ان هذه الستر الزرقاء قد تراكم عليها تراب خفيف ؟

هو — أجل . شيء أشكو منهُ ولا سبيل الى رفعه

هي — اني أميل الى الاعتقاد ان حياتك مجردة من امرأة تبعث فيها شيئاً من الحنان امرأة تفهمك وتعينك على تحقيق اطماعك في المجد الذي تنشده

هو — أتحدث اليك الآن والقطة تأكل أحد جواربي على عتبة الباب . . . وقميص (الاسموكنج) ساق أمامي دون كي كما تركته في فجر يوم رأس السنة . أي منذ أكثر من ثمانية شهور . . . والصكيوت يرسم أشكالاً هندسية تحيية على بعض دواوين الشعر التي تضمها مكتبتي

هي — تخيلني الآن وقد أقبلت اليك . في غرفتك . أزيل كل ما تشكو منه وأحل معي باقة من الورد الابيض أضعها في آنية خزفية على مكتبك الذي يتوسط الغرفة . ثم أجلس في هذا الثوب الازرق الذي تحبه لأقضي الوقت في رسم صورة خفية لاحدى تماثيلك التي أحس أنك تحب بها وتفضلها على غيرها حتى تعود من عملك في الخارج . فأستقبلك عند الباب . . . يستهويني العطر الذي تحبه . . . أتناول الكتب والمجلات التي تحملها . أحملها عنك وأضعها مرتبة على المكتب الذي يزينه كأنه كان ينقصها ! ثم أقدم لك الطعام الذي أكون قد أشرفت على اعداده في الصباح . . . ثلاث صحاف فقط . . . حساء ساخن وقطعة من اللحم المشوي . مع بعض الخضروات وصنف واحد من الفاكهة . هذا يكفي لا تكن « طماعاً » ! ان لديك استعداداً خطراً للسمن . ثم قدح من القهوة أعدها أنا بنفسي وأقدمها اليك بالخادة كأنك ملك ثم أطلق ضحكة ساخرة وأنت تتلقى مني القهوة هادئاً وقد خيل اليك اني جادة اذ أحمي أمامك . . . وبعد ذلك أقفز برشاقة فأجلس خلف المكتب لاقرأ لك ما لم تستطع قراءته في الصباح . الموضوعات التي تهمك . . الى ان تمل أنت من الاستماع . . . فأدنو منك وأجذبك كطفل الى « المقعد الطويل » فأجلسك عليه وأقول لك هامسة في صوت يرتجف حبًّا « نم هنا يا طفلي الكبير . انك في حاجة الى الراحة . . . سأوقظك في الوقت المناسب لكي تعمل في التمثال الذي بدأته امس . انني اريد ان ارسم لهُ لوحة « خفية » تملؤني زهواً ان تكون

تمانيك وحي صوري .. سنشتغل في المساء ثلاث ساعات سأكون الى جانبك . أنت تعمل في التمثال الجديد وأنا أسجل خطوط التمثال الذي تم صنعه على اللوحة التي أرسمها ولكنني سأتركك في الدقائق الاخيرة لكي أرتدي ثيابي وأصحبك الى الخارج فنتصيد بالسيارة الى مكان نائ بعيد . ثم نترك السيارة ونسير متلاصقين مسافة طويلة . ثم الآن .. لا تني عزفت اليوم على قصيدة شعر مدهشة سأقرأها لك على ضوء هذا المصباح الازرق بعد عودتنا في المساء الى المنزل .. سأغضب لو انني رأيتك تتثاءب وأنا أقرأ لك شعري الحبيب »

هو — ماذا دهاني .. أن أناملي أضاءت المصباح الازرق دون أن أشعر انني أراك الى جانبي هنا .. تتحركين في غرفتي .. في هذه الغرفة اقرئي لي الشعر الذي وعدتني به . هأنذا قد اضأت المصباح الازرق

هي — انتظر حتى احكم اغلاق النوافذ . انني لا اريد ان نحس بالعالم في الخارج يجب ان تعدم اصوات الناس والعجلات . انني أرى انك احسن حالاً بكثير الآن .. كما انني سعيدة .. انا أسعد اثنين في هذا العالم .. أليس كذلك ؟ ان العالم في هذه الغرفة

هو — العالم في هذه الغرفة ! لقد سمعت هذه الكلمات قبل الآن

هي — وأنا سمعتها معك هو — أين ؟

هي — في السينما .. في تلك القصة التي رأيناها معاً عن الثورة الارلندية

هو — عند ما اختلى العاشقان للمرة الأولى هي — أجل كما اختلينا الآن

هو — ولكن من أنت ؟

هي — تلك التي كانت جالسة الى جانبك تماماً .. في المقصورة الملاصقة لك

هو — واسمك ؟ هي — اخبرتك انني زوجة ...

هو — آه ! — لقد نسيت .. اسمحي لي أن أتركك الآن لأفتح النوافذ .. ان القطة قد شبعت من أكل الجوارب وهي تموء لانها تلتمس منفذاً للخروج الى العالم فلا تجد .. ان من حقها ان ترى العالم الذي انقطعنا عنه نحن الاثنان هذه الساعة لنعيش هنا . وحدنا

ضغط الدم

للدكتور ابراهيم ناجي

كلمة «الضغط» مبهمة عند كثيرين ولكن معناها الحقيقي «الضغط داخل الشرايين الكبيرة». والمسألة مشابهة تماماً للطلمبة . ان الضغط يبدأ بالطلمبة وهي القلب عند انقباض عضلته . عند ذلك يرتفع الضغط في الشرايين المرنة . ويكون الضغط على أتمه عند ما يبلغ الانقباض اقصاه وهذا يسمى « الضغط الانقباضي » وبعد الانقباض يحدث « الانبساط » وينخفض الضغط بالتدريج . وعند ما يكون على أقله يسمى الضغط الانبساطي . ويعبر عن الضغط بمليمترات زئبق وطريقة كتابتها طبيًا تكون برقمين مثلاً ١٢٠ على ٧٠ او ١٢٠/٧٠ وهذه معناها ان الضغط الانقباضي ١٢٠ والانبساطي ٧٠ مليمتر زئبق

وكلما كانت المرونة تامة في الاوعية الدموية قامت بوظيفتها خير قيام . والعلاقة بين الصفة الطبيعية للشرايين وبين محتوياتها من أهم ما يكون . على انهُ من الطفولة تقل مرونة الشرايين بالتدريج ؟ حتى يبلغ الانسان الكبر فتزيد الشرايين صلابة . والضغط يختلف باختلاف الشرايين. ومما يلاحظ ان الضغط هو تحت تأثير الجاذبية . فحتى في حالة الرقاد ، يكون الضغط في الأورطي (اكبر الشرايين) أعلى من الشرايين الصغرى بمقدار ١٠ الى ٢٠ مليمتر . ويقل الضغط كلما صغرت الشرايين ، فانهُ في الشعريات من ٨ — ١٢ مليمتراً بينما هو في الشرايين الصغيرة من ٨٠ — ٩٠

وتحمى الشعريات من الضغط بواسطة الشرايين الصغرى — فانها الشرايين الصغيرة — تحت تأثير الجهاز العصبي وبذلك يمكنها ان تقوم بعملية «توازن» في انطلاق الدم . وهذه الشرايين الصغيرة تشبه « خزانات » دقيقة وانهُ عند ما تحتاج الأنسجة لغذاء واكسجين ، تنبه هاته الشرايين بوساطة الفضلات وتنبسط ، ويجد الدم المجرى أكثر اتساعاً . كما انهُ في الراحة ، وعندما يلزم ، تنقبض الشرايين في جهة ما ، لتقوم بخدمة في جهة أخرى

ولو لم تقم الشرايين بهذه الوظيفة ، لقام بذلك القلب وحده ، وفي هذا عبء كبير عليه . ومما هو جدير بالملاحظة انه كلما كبرت « الشجرة » وكلما ظلت المرونة ثابتة ، انخفض الضغط على شرط أن لا تصاب « الطلمبة » بشيء . ويختلف « حجم » الأوعية في الناس فمنهم من عنده « اتساع » طبيعي ومنهم من عنده « ضيق » في حجم الأوعية

وقياس الضغط مسألة سهلة فيكفي وضع « الكم » على الذراع والنظر الى « الساعة » . وتضغط الطلمبة المتصلة بالجهاز ضغطاً أعلى مما هو بالدم ، أي حتى لا يعود النبض واضحاً . ثم يخفف الضغط على الذراع فيلاحظ اول صوت يتبعه ثم أول صوت يظهر وتقرأ على الساعة الأول ويدعى الضغط الانقباضي والثاني الانبساطي . المتوسط للضغط هو ١٢٠ ملليمتراً انقباضيًا ٨٠ انبساطيًا ، على ان هذين الرقمين قابلان للتأثر بأشياء كثيرة كالجنس والوزن والهضم والانفعال والمجهود الخ . . .

***

عند الميلاد يكون الضغط من ٣٠ — ٥٠ م. م. وبعد أسبوعين يرتفع الى ٤٠ — ٨٠ وبعد ذلك يأخذ الارتفاع في البطء حتى البلوغ — ليس اكثر من ٢٠ — ٣٠ م.م. ثم يحدث ارتفاع سريع ، ويكون الضغط عرضة للمؤثرات الانفعالية . والنساء أقل ضغطاً من الرجال . والحمل قد لا يغير الضغط على انه قد يرفعه ، وكلما تقدم العمر ارتفع الضغطان بالتدريج وليس صحيحاً ما يقال ان متوسط الضغط هو العمر + ١٠٠ ، فانه في المتوسط عند الستين يكون $\frac{١٣٠}{١٤٠}$ مثلاً والسمنة تعرض الشخص لارتفاع الضغط وبعد الأكل يحدث ارتفاع قليل

وأما الانفعالات فتؤثر تأثيراً بالغاً في الضغط . وبعض الناس يبدون تأثيرهم باسراع القلب وبعضهم بتغييرات في الجهاز الهضمي

***

وقد عرف ان في بعض الشبان ذوي الانفعال السريع قد يزيد الضغط من ٣٠ — ٦٠ ملليمتراً ، وقد يحدث ذلك في الأحلام ، على ان المعروف انه في النوم الهادىء المريح ينخفض الضغط . وعند القيام بعد القعود ، يزيد الضغط من ٥ — ١٥ م. م. في الانقباضي ولا يتأثر الانبساطي الا قليلاً .

كذلك المجهود الجثماني يرفع الضغط . ويوجد قوم يكون الضغط عندهم منخفضاً انخفاضاً طبيعيًا ، وعند ما يكون الضغط في حالة الرقاد أقل من ١١٠ يسمى هذا « انخفاض الضغط الأساسي » وقد عرف عن كثيرين ان ضغطهم الطبيعي يتراوح من ٩٠ و٩٥ والوراثة شأن في ذلك ،

فانهُ عرضة لان ترث اتساع الشجرة واتساع الأوعية، وبطء القلب، فمن ذلك يقل مجهود القلب، والأوعية، وليس هناك مرض ما، وهؤلاء يعيشون حياة طويلة ولكن يتكون من الضعف والدوخة والخمول، وقد توجد هذه الحالة في الدستين في الصباح عند القيام من النوم. وتختلف أحوال انخفاض الضغط الأساسي عند كثيرين، فمنهم من يكون طبيعيًّا في الرقاد ومنخفضاً في القيام، وبالعكس

والأسباب المعروفة لانخفاض الضغط هي « البطن المرتخية، والأوردة الملتوية، واضطراب الغدد الداخلية وبعض الأمراض العصبية » وهؤلاء معرضون دائماً « للدوخة » عند انتصاب قامتهم

وليس ارتفاع ضغط الدم مرضاً بلا « علامة » وليس معناه ان يكون الضغط مستمرًّا أبداً، فانهُ عند الشبان ذوي الاعمال يرتفع ثم يعود فينخفض، وأحوال ضغط الدم المتوسطة التي ليست مصحوبة بمضاعفات لا تختلف في حالة القلب عن الاصحاء. فان كثيرين من المصابين به يعيشون كالمعتاد، واذا احتاج جزء من الجسم لكمية من الدم وصلت اليه كما تصل في أي شخص سليم. والضغط عند المرضى « بالضغط » متساوٍ مع الاصحاء في الشعريات والأوردة، والفرق يوجد فقط في الشرايين الصغيرة

« فالخزانات » الصغيرة تقف للسد الطريق، فيرتفع الضغط ثم يعود لسيره الطبيعي، وكلما ضاقت هذه الشرايين الصغيرة كلما ارتفع الضغط

***

ما هي اسباب ضيق هذه الشرايين الصغيرة وانقباضها؟ نحن نعرف كثيراً ونجهل كثيراً فانهُ لا يوجد سبب واحد، فهناك الوراثة، وهؤلاء الوارثون هم بكس ذوي « الضغط المنخفض الاساسي »

وفي اكثر الأحيان يكون ضيق هذه الشرايين ناشئاً عن أمراض تسبب اضمحلالها وانسدادها وقلة مرونتها

وكذلك أمراض الكلى. وليس بالواضح الجلي لماذا تسبب امراض الكلى دائماً ارتفاعاً في الضغط — واختلال الغدد الداخلية — والسمنة المفرطة وكذا التدخين والمجهود العقلي، وكثرة الاعمال تسبب ارتفاع الضغط

ويستمر الضغط احياناً بلا اعراض ثم يأخذ المرضى في الشكوى من الدوخة وقلة النوم، ثم تكون المضاعفات في الكلى او القلب او الجهاز العصبي

أحدث وسائل الاضاءة

في اميركا وطرق الانتفاع بالصاعة الكهربائية للوقاية من غوائل الحرب الجانية

لعوض جندي

قالت مجلة الميكانيكا العامة الاميركية في أحدث ما وصل الينا من أجزائها ما تلي ترجمتهُ : —

ارتقت العلوم في الحقبة الاخيرة ارتقاء سريعاً جدًّا يحيث تعذر على أغلب الناس ادراك الانقلاب البعيد المدى الذي لابَسَ ذلك الارتقاء . ونعني به تفوق المختبرات العلمية الكبيرة، على المخترعين العظام الذين اخترعوا المخترعات الرائعة. ويعلم كلٌّ منا مبلغ ما أسداه من هذا القبيل الى الحضارة ، أمثال اديسون وماركوني . ولكن لا يستطيع امرؤ تعيين المخترع الوحيد لعشرات من المخترعات الحديثة ، كالحرير الصناعي والصمغ المرن الصناعي ، والمجانُ الكيميائية «وقد وصفناها في غير جزء من اجزاء المقتطف السابقة » او المنسوجات الشفافة اللينة والراديو المصور ، او السيارة والطيارة العصريتين ، لانها من المخترعات الكثيرة النواحي التي أنبتتها المختبرات العلمية وانتزك كثيرٌ من النوابغ وذوي العقول الراجحة في اختراع اجزاء منها غير مشهورة الاسماء

ويسوغ القول إن نظام هذا العمل المشترك قد حال دون القيام ببعض التجارب المستقلة ، بيد انهُ اذا اتفق أن بدت في أجوائنا ذات ليلة قاذفات القنابل الضخمة للأعداء ، كان ذلك باعثاً على تقدير الفوائد التي قد نجنيها من تعاون هاتيك المختبرات العلمية بعضها مع بعض

***

ومن فوائد تنظيم البحث ، امكان تأليف فرق خاصة من أولئك المهندسين المدرَّبين ، أسوة بوحدات الجيش بحيث يختص كل فوج منهم بعمل مُعيَّن. وهذا هو تمام الواقع فعلاً : فقد تطوعت المختبرات العلمية لأداء الخدمات الحربية ، وذلك بتفويض من الحكومة الاميركية . فتمَّ عدول ألوف من مهندسي المباحث العلمية عن مباحثهم التي كانوا يمارسونها ، متوخين الامعان في وقاية الناس من غوائل الحرب، اذ تفرغوا لتحسين معدات الفتك والهلاك ومنها المفرقعات والاسلحة

وأبراج المدافع الصغيرة والطرايد والاجهزة الكشافة المضادة للطائرات (وقد وصفناها في مقالنا على كشّاف الطائرات الحربية المنشور في مقتطف يونيه الماضي) ثم الانوار الكشافة وموجهات القنابل « القنبلات » bomb-sights وضابطات نيران المدافع والأسلحة الواقية وأجهزة المواصلات والمواد الكيميائية الحربية وأجهزة تقييد الاضاءة وأقنعة الغازات السامة وما اليها

***

ومما لا شك فيه أن معظم النتائج التي ظفر بها اولئك العلماء مازالت سرًّا خفيًّا ، وستبقى كذلك اذا اصبحت هذه البلاد « يقصد الكاتب بلاده الولايات المتحدة الاميركية » لا مناص لها من الحرب . وحينئذٍ سيدهش الاميركيون أنفسهم من بعض ما اخترعهُ خبراؤهم . أما المعدات التي سبق أن قامت باختراعها لاجل وقاية المدنيين احدى الهيئات العلمية الكبرى للمباحث وهي هيئات تعدُّ بالمئات ، فليست من الأسرار . ونعني بتلك الهيئة ، مختبر الاضاءة لشركة الكهربائية العامة في مدينة شنيكتادي بولاية نيويورك . والاعمال التي قام بها هؤلاء العلماء ، يقصد بها الى مدى بعيد ، القاء الضوء على وسائل الدفاع عن الولايات المتحدة الاميركية . وذلك لأنهم متخصصون في فن الاضاءة « والشيء من معدنه لا يستغرب » ومنها التخلص من ضرورة تقييد الاضاءة في بيوت أميركا ومصانعها — على عكس الحال الآن في أوروبا — حيث يضطر السكان اما الى اطفاء الأنوار وإما الى تغطية النوافذ والأبواب بالنسوجات الثقيلة . وقد بيَّن المستر ه . ا . بريدنج H. A. Breeding أحد علماء الطبيعة ، الموظف في مختبر شنيكتادي للاضاءة ، تلك الطريقة فقال : —

إن دهن زجاج البيوت والمصانع بالطلاء الازرق مشفوعاً باضاءتها بالنور الاصفر المتولد من الصوديوم هو الحل الوحيد لهذه المعضلة . ويستعمل هذا العالم لذلك الغاية ، الدهان المعتاد ممزوجاً بصبغة زرقاء خاصة . والنوافذ التي تعالج بهذه الطريقة لا تحول دون دخول نور النهار . ولكن الأنفع من ذلك في زمن الحرب ، امكان انارة داخل البيوت بأضواء الصوديوم بحيث لا يتسرب منها لبلاً في الخارج أي بصيص من زجاج النوافذ ، المدهونة بالدهان الازرق ، يمكن ان يسترشد به طائرات الاعداء المغيرة الى أهدافها

ويجوز ايضاً استعمال الاشعة التي فوق البنفسجية التي تصدر من المصباح الزئبقي ، وهي المعروفة بالضياء الاسود black light اذا ما أقدمت طائرات الاعداء على مهاجمة أميركا ، لان أشعة الضياء الأسود لا تبصرها العيون المجردة . وانما تستطاع رؤيتها بواسطة الدهانات المتألقة التي يمكن استعمالها في لوحات الاعلانات التي تقام عند مفارق الطرق لارشاد عابريها الراجلين ، وايضاً على امتداد الطوارات لارشاد سائقي السيارات

أما في حالة اطفاء الأنوار في الخارج طول الليل ، فيمكن تنظيم توافد المتاجر بحيث لا تشاهد أضواؤها من الجو ، وذلك باستخدام مصابيح ضيقة القوة ، مشمولة بما كان للضوء من نوع خاص ، تستطيع توجيه الضياء بعيداً عن الشارع ، الى خلف النافذة حيث يخبو في عتمة مظلم . وللدهانات المتألقة والضياء الأسود منافع أيضاً لتلك الغاية

ويجرب الآن مهندسو شركة الكهربائية العامة الأميركية ، تجربة علمية في جهاز آخر يمكّن موارد الطاقة الكهربائية من اطفاء مصابيح الشوارع في خمس ثوان ، دون وقف الخدمات الكهربائية الأخرى في البيوت والمصانع متى كانت مهددة بالغارات الجوية ، على ان تعاد الأنوار الى سابق حالتها الطبيعية في خمس ثوان كذلك ، بعد اعلان اشارة زوال الخطر all-clear signal

أما الآن فتستحيل السيطرة العاجلة على مصابيح الشوارع ، من غير قطع جميع الخدمات الكهربائية الأخرى ، أو من دون التوسل بالجهاز الثمين المستخدم حالاً في ست مدن من مدائن الولايات المتحدة الأميركية . ترتضاه أغلب مصابيح الشوارع وتطفأ بالمفاتيح الكهربائية الزمنية time-switches [1] او بأيدي عمال موارد الطاقة الكهربائية . وهؤلاء لا بدّ لهم من الانتقال الى المراكز العديدة الثانية المسيطرة على مصابيح المدينة . ونغنّي عن البيان ان هذه الوسائل أضحت عتيقة غير صالحة لزمن الحرب ، الاّ اذا صنعت مصابيح الشارع جميعها بطريقة تسمح باضاءتها بطاقة ضئيلة جداً من الكهربائية بحيث لا تراها عيون المغيرين الجويين ولذلك وجه العلماء أيضاً مجهوداتهم الى هذا البحث . وطبقاً لآرائهم ، ومع ابقاء مجهوداتها ، يستطاع تقييد اضاءة مصابيح الشوارع تقييداً فعليًّا باستعمال مثلث bulbs ضيقة الطاقة مظللة تظليلاً لا يسمح برؤيتها الاّ للطائرين على الأرض ، بينما تختفي كلية عن عيون المغيرين من الجو

***

وتصنع الآن الشركة الأميركية للكهربائية العامة ، مصابيح كهربائية كشافة ضخمة من قوة ستين عقدة (بوصة) يتيسر بها اكتشاف الطائرات المحلقة على ارتفاع خمسة اميال ، فيستعان بها على ارغام الطائرات المعادية على النزول في الجو توغلاً يتعذر عليها فيه تسديد قنابلها الى الأهداف المنشودة تسديداً مضبوطاً . وقد تصلح هذه المصابيح كذلك في اعمال الدفاع الساحلي تجاه البوارج فتكشفها في عرض البحر ، وتمكن المدافع الساحلية من اطلاق نيرانها عليها قبل دنوّها من الشاطىء . وبلغ من قوة هاتيك المصابيح الكبيرة ان المرء يستطيع بنورها قراءة الجرائد وهو محلق في طائرة تعلو ١٢ ميلاً عن سطح الأرض

---

(١) هي مفاتيح كهربائية متحركة بذاتها وتسيطر عليها ساعة بحيث يتاح فتح الدائرة الكهربائية أو اغلاقها أوتوماتيكياً في الوقت المحدد

وكثير من المصانع الحربية في أميركا تواصل الآن أعمالها آناء الليل وأطراف النهار أي أنها تشتغل ٢٤ ساعة كاملة ، ابتغاء تعجيل انتاج المعدات الحربية المفروضة عليها . واذا عمد أولئك العمال والصناع الى تدمير المصانع واتلاف مصنوعاتها التي يقومون بانتاجها ، انتقاماً من أرباب المصانع ، مؤثرين حُلكة الليل ، على وضح النهار ، لتنفيذ مآربهم ، أخفقت مساعيهم وذلك لأن مهندسي الاضاءة اخترعوا وسائل خاصة للوقاية ، وهي مصابيح ساطعة الضوء لصون الحظائر المحيطة بمعظم تلك المصانع ثم أقاموا مصابيح كهربائية كشافة قوية فوق بيوت حراسها لكي تكشف العمال الذين تسول لهم أنفسهم اقتراف ذلك الوزر . وقد نصبت أيضاً في الأبنية المحظور دخولها (بصاصات [1] كهربائية) لكي تنبه على الاشخاص الذين يحاولون ولوجها بلا ترخيص . ولما كان الشيء بالشيء يذكر يجدر بنا التنويه الآن ببعض الأعمال التي تؤديها البصاصة الكهربائية في الظروف الحالية ، للحراسة والرقابة :—

تؤدي البصاصة الكهربائية واجبات شتى تقتضيها حراسة وتنظيم حركة مرور وسائل النقل والانتقال من والى النفق الممتد تحت النهر الشرقي East River البالغ طوله ميلاً تحت مدينة نيويورك حيث يتصل حي كوينز (المقاطعات) بحي مانهتان Manhattan ويحتوي نفق كوينز ميدتون Queens-Midtown على طريقين مزدوجي المسالك ، لكل طريق منهما مجموعته الخاصة بالسيطرة عليه ، بحيث يستطيع المرء الاشراف على أحوال حركات المرور في ذينك الطريقين في هنيهة وذلك بالاطلاع على اللوحة الضخمة للرقابة التي لصبتها هناك الشركة العامة للكهربائية حيث تقوم الاجهزة العدادة ذات البصاصات الكهربائية أول وهلة بحصر عدد المركبات السائرة في كل طريق في أي وقت حصراً مضبوطاً فيجمع الجهاز العداد الاول عدد السيارات الداخلة في النفق ، بينما يطرح الجهاز العداد الثاني عدد السيارات التي تخرج منه وفي كل جهاز عداد شعاعة من الضياء الكهربائي ساطعة من جانب الطوار على بصاصة كهربائية مثبتة في الطوار الآخر المقابل له . فكلما مرت مركبة على تلك الشعاعة قطعتها ، فبثت البصاصة الكهربائية نبضة ، فتصل الى الجهاز العداد ، واذا زاد عدد السيارات في أي طريق من الطرق الممتدة في النفق ، على العدد المأمون من الخطر ، أعطيت اشارة تحذير في اللوحة المركزية للرقابة ، فيقلل حينئذٍ عدد السيارات التي يسمح لها بدخول النفق . وثمة شعاعة أخرى من النور تلقى على مداخل النفق ، فتعمها من أسفلها الى ارتفاع ١٢ قدماً ونصف قدم . فاذا ما قطعتها أية مركبة نقل يزيد ارتفاعها على ذلك المقياس ، أثرت في البصاصة الكهربائية فتطلق

(١) وقد وصفناها في عدد اجزاء من المقتطف « المترجم »

يوماً تنبيه ضباط المرور لكي يقفوا تلك العربة ، إذ هي لا تستطيع الوقوف من انخفاض سقفه عن ذلك بقدر ، وتقوم المصابات الكهربائية أيضاً بإضاءة المصابيح الكهربائية في مداخل الغرف وذلك عندما يخيم الظلام ، وتساعد على تسجيل كمية غاز أوكسيد الكربون التي يتفشى في الطرق الممتدة في الأعماق فتنبه الضباط الى فتح المراوح الكهربائية لتجديد هوائها

وكذلك اخترعت أجهزة أخرى مساعدة للاضاءة يمكن استخدامها حينما تعطل الوارد الأصلية ، وقوام تلك الاجهزة مولدات تدار بالبنزين أو بطاريات تخزين مثبتة في عربات النقل فتغدو من معدات الطوارىء الميسور نقلها من مكان الى آخر ، عند ما تدمر المصانع الاصلية للاضاءة . ويفكر الآن المهندسون في اختراع محطات عوّامة للاضاءة ايضاً[1]

ولم يقتر المختبر العلمي للشركة الأميركية العامة للاضاءة الكهربائية عن القيام بواجبه في الظروف الحالية الحرجة . وكذلك أرجأ معمل الباحث أبحاثه المعتادة ليتفرغ لحل معضلات الدفاع عن الجمهورية الاميركية العظمى — وفي هذا الصدد يقول المستر لورنس ا. هوكنز المهندس الاداري ما يأتي :—

إن المباحث الدائرة حالاً قد توخينا بها مبدئيًا البناء للمستقبل ، إذ هي ابحاث نظامية لاكتشاف معلومات جديدة تصلح أساساً لصناعات جديدة أو قواماً لتحسين كافي الصناعات القديمة ، يفضي الى ارتفاء الثروة الاهلية وترقية مستوى المعيشة . ولكن متى حلّت الاوقات العصيبة فلا بدّ حينئذٍ من التخلي وقتيًا عن مباحثنا الحالية لتخصيص مجهوداتنا لما هو أجدر منها بالاهتمام ويسرنا أن دولتنا قد عبت مرة أخرى من سبالها النسيم الى التأهب العميم للحرب فشحذت مصادرها العظمى وستأنف معامل البحث الاميركية اعمالها الجليلة التي لا بدّ لها من ادائها في هذا المعترك ذي الحرب الحالية حرب آلات ميكانيكية لدرجة لم يسبق لها مثيل . فاذا ما أعطيت هذه الأمة وقتاً كافياً تمكنت معامل ابحاثها واستطاع مهندسوها وأتيح لعباقرتها انتاج المصنوعات بالجملة ، تلك المصنوعات التي جعلت هذه الدولة اقوى دول العالم صناعة ، وفي مقدورها ايضاً جعلنا أقواها أسلحة . فيتبغي لنا اذن ألاّ نضيع يوماً واحداً سدًى وألاّ نقاعس بسلامة هذه الامة . ونحن في مختبراتنا العلمية نصبو كل الصبوّ الى اعانة دولتنا بكل ما في وسعنا فاذا شبت الحرب يوماً ما فستجدنا على تمام الاستعداد لها من كل صوب

(١) وقالت الصحف الصادرة في الشهر الماضي في هذا الصدد ما يأتي : — ان الحكومة الاميركية تفكر في استخدام الباخرة الفرنسية الكبيرة نورماندي محطة لتوليد الكهربائية لزيادة القوى الكهربائية في نيويورك وستستخدم بواخر اخرى لتوليد القوى الكهربائية ، في بعض المدن التي واجهت فيها صناعات الدفاع طلبات متزايدة

اللغات السودانية

الشرقية

للدكتور مراد كامل
مدرس اللغات السامية بمعهد اللغات الشرقية بجامعة فؤاد الأول

ظهر في شهر نوفمبر سنة ١٩٤٠ كتاب تحت عنوان اللغات السودانية الشرقية من تأليف ا . ن . تكر* (يقع في ٤٤٩ صفحة من الحجم المتوسط وفيه مع خرائط)

The Eastern Sudanic Languages, by A. N. Tucker, Vol. I, published for the International Institute of african Languages & Cultures, by the Oxford University Press, London — New York — Toronto, 1940

وأعتبر فرصة خروج هذا الكتاب لأظهر ناحية من نواحي النشاط العلمي في الدراسات الافريقية

تنقسم اللغات الافريقية الى ثلاث مجموعات كبرى : الحامية، السودانية ، البنتو . فمجموعة اللغات الحامية تنتشر من المحيط الاطلنطي غرباً الى البحر الاحمر والمحيط الهندي شرقاً ومن البحر الابيض المتوسط شمالاً الى السنغال والنيجريا وجنوب لوبيا وبحر العرب وجنوب الصومال الايطالي جنوباً، على ان تستخرج من هذه كلها مناطق نفوذ اللغات السامية. اما مجموعة اللغات السودانية فتمتد من الصحراء الكبرى الى خط الاستواء ومن أعالي النيل الى المحيط الاطلنطي، مع إستخراج لغة الفُلّ ولغة الهوسا ، لأن علماء اللغات الافريقية لم يتفقوا على وضعها في احدى هذه المجموعات الثلاث . اما مجموعة لغات البنتو فحدودها الشمالية نيجريا ، خط تقسيم المياه ، فالصومال الايطالي ، ما عدا منطقة نفوذ لغتي البُرْمان والهوتنتوت اللتين تكوّنان وحدتين مستقلتين

وقد اصطلح العلماء على تسمية اللغات الحامية بهذا الاسم نسبةً الى حام وهو أخو سام ويافث أولاد نوح ، كما ورد في سفر التكوين اصحاح ١٠ آية ١ . ويقسمونها الى ثلاث مجموعات:

(١) المصرية القديمة — القبطية (٢) الليبية — البربرية (٣) الكوشية . وقد اهتم علماء من فرنسا وايطاليا وانكلترا والمانيا بدراسة هذه اللغات حتى ظهر كتاب الاستاذ مايهوف عن

« لغات الحاميين » سنة ١٩١٢ C. Meinhof. Die Sprachen der Hamiten, Hamburg 1912 وهذا الكتاب يعتبر أهم مرجع في دراسة هذه اللغات . واقتصر العلماء بعده على تعديله أو إكماله

أما البنتو فقد اصطلح العلماء على تسميتها كذلك من لفظة ba-ntu بمعنى رجال (مفردها ntu) . وهناك محاولات مختلفة لتقسيمها : فمن العلماء من قسمها الى مجموعات لغوية يلتف كل منها حول لغة معينة ؛ كما صنع دركسل Drexel في مقال له عن تقسيم اللغات الافريقية في مجلة Anthropos XVII—XIX, 1923—24 صفحة ٢٦ وما يليها، وكذلك شميدت W. Schmidt في كتابه عن لغات العالم Die Sprachfamilien und Sprachenkreise der Erde وكيكرز E. Kiekers, Die Sprachstämme der Erde, Heidelberg 1926 مجموعات لغات العالم Heidelberg 1931

ومنهم من يقسمها جغرافيًا الى مجموعة شرقية ومجموعة جنوبية ومجموعة غربية على نحو ما فعل سليجمان C. G. Seligmann في كتابه Races of africa, London 1930 أجناس افريقيا، وكذلك هارتلند S. Hartland في مقاله عن البنتو في موسوعة هاستنجس Hastings Encyc. of Religion and Ethics . وقد أثرت « مدرسة لندن لعلم الأصوات » تحت اشراف الدكتور Dr. Daniel Johnes والاستاذ Prof. A. Lloyd في دراسة علم الأصوات في لغات البنتو . وظهرت في ذلك مباحث للدكتور Doke و K. Lamun و A. N. Tucker و Nekes وآخرين. وقد لخص الدكتور E. W. Smith ما ينبغي اتباعه في تفحص تلك اللغات بقوله « تحتاج لغات البنتو أن ترتب على قاعدة دراسة الاصوات وأقسام الأسماء والمفردات وبناء الجملة ، وعندي أن التقسيم المفيد الى اليوم هو التقسيم الجغرافي »

ومما يستحق الذكر مقال جريء للآنسة L. Homburger في Mémoires de la Société de Linguistique XXIII, 1929 صفحة ١٤٩ وما يليها ، تقد حاولت فيه أن تثبت قرابة بين لغات البنتو والهوسا من جهة وبين اللغة المصرية القديمة من جهة أخرى . وإذ أنا في معرض الكلام على لغات البنتو أذكر ما قاله لي أستاذي السابق Westermann رئيس معهد اللغات الافريقية ببرلين من وجود لغة عربية في شمال الكمرون بين منطقة نفوذ لغات البنتو، ويرجح أن المتكلمين بها وصلوا من الشرق والمظنون من صيد مصر

أما اللغات السودانية فهي نسبة إلى سودان . ولم أستطع على استعمال هذه اللفظة بمعنى يختلف باختلاف الاقليم . فاذا تكلم انجليزي على السودان فهو يقصد السودان الفرنسي أي المنطقة المحصورة بين الصحراء الكبرى وحوض الكنغو تقريباً . وإذا قالها المؤرخ فهو يعني السودان المصري الانكليزي . واذا ذكرها اللغوي فهو يدل على تلك المجموعة من اللغات التي أسفنا الكلام على نطاقة انتشارها . أما اللغات السودانية فلم يحقق ما بينها من التشابه الا منذ عهد قريب . وقد حاول العلماء حصر هذه اللغات فعد العالم الفرنسي دلافوس M. Delafosse ٤٠٠ لغة سودانية ثم زادها الى ٥٦٠[1] ، وقد قسم هذه اللغات على أساس جغرافي الى ١٦ مجموعة . ولم يوافقه الاستاذ Westermann في كل ماذهب اليه وكتب في ذلك مقالاً عن صفات اللغات السودانية وتقسيمها Charakter und Einteilung der Sudansprachen في مجلة Africa, Vol. VIII No. 2, 1935 صفحة ٤٨ — ١٢٩ . ومن تبع Westermann في رأيه Dr. A. N. Tucker في دراسة مجموعات اللغات في جنوب السودان Survey of the Language groups in the Southern Sudan في مجلة مدرسة اللغات الشرقية بلندن Bulletin of the School of Oriental Studies, Vol VII- Part 4, 1935 صفحة ٨٩١ — ٨٩٦ . وقد قسموا اللغات السودانية الى أقسام : —

(١) — اللغات السودانية القديمة وتشمل في الغرب المجموعة المعروفة تحت اسم كوا Kwa (ايبو ، يوروبا ، نوبة) ومجموعة إڤة — أكان Ewe—Akan (إڤة ، توى ، فنه) وفي الشرق تشمل مجموعة مورو — مادي ، بونجو — باكا — باجيرمي ، ندوجو — بقيري

(٢) لغات المندء (مندنجو ، بمارا الخ)

(٣) لغات متصلة تمتد من كردفان الى مصب نهر السنغال ، منها تيف وكذلك لغات شمال توجو (أي لغات تجور) ولغات ساحل الذهب (مُوسَى — داجبانه وغيرها) واللغات الاطلنطية الغربية بين ساحل العاج ومصب نهر السنغال

(٤) اللغات السودانية الداخلية وتقع بين نيجريا والسودان المصري الانجليزي . هذا هو تقسيم ويسترمان وتكر . أمّا شميدت Schmidt في كتابه عن لغات العالم فقسمها الى ست مجموعات وتبعهُ في ذلك دركسل Drexel وكيكرز Kieckers . ونذكر المرجع الذي يعد أساساً لدراسة اللغات السودانية وهو كتاب ظهر سنة ١٩١١ للاستاذ Westermann عن اللغات السودانية Die Sudansprache, Hamburg 1911

(١) راجع الفصل الذي عقده عن لغات السودان وغنيا في كتاب ميه وكرهون عن لغات العالم صفحة ٤٦٣
Les Langues du Soudan et de la Guinée ; dans les Langues du Monde P. 463, Paris 1924

ولم يعد انتباه العلماء الى دراسة اللغات السودانية كما عمدوا الى لغات افريقيا ، ولذلك لصعوبة الوصول اليها ولعدم اهتمام العالم السياسي بها . وظل العلماء على اختلاف جنسياتهم يقومون بدراسات قصيرة متفرقة كلما سنحت لهم الفرصة إما برحلات الى الجهات التي تتكلم فيها اللغة وإما بوجود أحد الافريقيين في أوربا . واذ كانت سنة ١٩٢٨ عقدت حكومة السودان في شهر ابريل مؤتمراً في مدينة الرجف (في جنوب السودان على الشاطىء الغربي لبحر الجبل) ودعت الى هذا المؤتمر ممثلي جميع الجماعات التبشيرية في جنوب السودان وكذلك علماء من أوربا ، وكانت الأغراض التي يرمي المؤتمر الى تحقيقها

(١) حصر اللغات وتقسيمها في جنوب السودان

(٢) أي مجموعة من اللغات في جنوب السودان يقترحها المؤتمر لاستعمالها في الأغراض التعليمية ، وأي اللغات يقع عليها الاختيار في الجهات المختلفة ، والقضاء على اللغات المحلية في الجهات التي تستعمل فيها اللغة التي وقع الاختيار عليها ، والنظر في وضع أساس لتعليم اللغة الانجليزية في المدارس

(٣) بحث امكان وضع طريقة واحدة لكتابة اللغات المختلفة

(٤) رسم خطة للتعاون في وضع قواعد اللغات المختلفة ، وكتب للنصوص والمطالعة يكون الغرض منها تعليم السكان ثم سد حاجة موظفي الحكومة ورجال التبشير

وقد تنبه علماء الانجليز على أثر هذا المؤتمر فوجهوا عنايتهم الى دراسة أفريقيا وأخرج لنا اللورد هيلي بمساعدة الكثير من العلماء هذا المؤلف الضخم الذي يقع في ١٨٣٧ صفحة من الحجم المتوسط يتضمن دراسة عن المسائل التي تتعلق بأفريقيا (جنوب الصحراء الكبرى) من الوجهة الاجتماعية والاقتصادية واللغوية والتعليمية وغيرها . وقد استغرقت كتابته زهاء تسع سنوات

An African Survey, A Study of Problems arising in Africa south of the Sahara by Lord Hailey, Oxford University Press, 1939.

وكذلك أخذ في تنفيذ رغبات المؤتمر وقراراته ، فزاد التأليف زيادة مطردة وكثر الاهتمام بدراسة اللغات السودانية وأرسلت الجمعيات المختلفة مبعوثيها الى الجهات المختلفة للدراسة . وقد أشار الى ذلك Edwin W. Smith في التقرير الذي وضعه عن عمل معهد اللغات الافريقية وحضاراتها The Story of the Institute (the International Institute of African Languages and Cultures) ونشره سنة ١٩٣٤ في مجلة Africa, Vol VII. No. 1. Jan. 1934 من صفحة ١ — ٢٧ A Survey of Seven Years.

ره ... في تقريره باسم Dr. A. N. Tucker مؤلف الكتاب الذي بنينا على كتابه هذا الفصل . ذكر اتجاهه في دراسة اللغات السودانية وأشار أيضاً الى زميليّ الدكتور H. J. Sierzhula والدكتور J. Lukas وكذلك الى الدكتور I. C. Ward وهم يقومون بدراسات مختلفة في نيجريا

***

وقد أتيحت الفرصة للدكتور A. N. Tucker في دراسة لغات السودان لما كانت حكومة السودان من سنة ١٩٢٩ الى سنة ١٩٣١ بدراسة لغات جنوب السودان ووضع حروف هجاء تكتب بها اللغات المختلفة . وجاء هذا على أثر القرارات التي اصدرها مؤتمر الرّجاف فكتب تكر خلاصة بحثه في مقال تحت عنوان « الحالة اللغوية في السودان الجنوبي » ، والمقصود بالسودان الجنوبي مديريات أعالي النيل وبحر الغزال ومنجلا أي بالتقريب الجزء الواقع جنوب ملاكال من السودان المصري الانكليزي The Linguistic Situation in the Southern Sudans ونشرها سنة ١٩٣٤ في مجلة Africa Vol. VII No. 1. Jan. 1934 صفحة ٢٨ — ٣٩ . وقد قسم تلك اللغات الى عشرة اقسام رئيسية :

الشلوك ، إلدنكا ، النوير النِّدُوجُو ، الزَّنْدَه ، المُورُو — مادي ، البُّونجُو — باكا ، الي ، اللتوكو ، والتويوتا ، الديدنجا — بير

ثم أتيح مرة أخرى للدكتور Tucker السفر الى السودان لما أوفده معهد اللغات الافريقية بلندن في سنة سنة ١٩٣٢ لاتمام دراسته في اللغات السودانية . وظهرت نتيجة هذه الدراسة الطويلة في مؤلفه الذي نشره معهد اللغات الافريقية في نوفمبر سنة ١٩٤٠ تحت عنوان اللغات السودانية الشرقية كما ذكرنا ذلك في مستهل كلامنا

وقد قسم المؤلف اللغات السودانية الشرقية الى اربعة اقسام

(١) مجموعة لغات مورو — مادي

(٢) مجموعة لغات بونجو — باكا — باجيرمي

(٣) « « ندوجو — بيره

(٤) لغة الزنده وبعض لغات سودانية اخرى

أما منطقة انتشار هذه اللغات جميعها فهي الهضاب الغربية والجنوبية من المديرية الاستوائية في السودان ثم شمال اوغندة والزاوية الشمالية الشرقية من الكونغو البلجيكي وفي مديرية اوبنجي — شاري ومنطقة بحيرة شاد في افريقية الاستوائية الفرنسية

أما المجموعة الأولى اي المورو — مادي فتشتمل من منطقة أمبادي من اعمال مديرية منجلا (مورو) في شكل نعل الفرس مخترقة مريدي وياي (أبوكايا ، كيليكو) ثم تنعطف الى الزاوية الشمالية الشرقية من الكونغو الى لوجو ، ليندو) فشمال غربي اوغندة والوجبارا ، ماد) ثم تنحرف الى منطقة أوبارى في مديرية منجلا (مادي) — وبما أنها تبدأ من المورو وتنتهي الى المادي أطلق عليها مجموعة لغات مورو — مادي

والكتاب الذي نحن بصدده دراسة لهذه المجموعة من اللغات . وفي مأمول المؤلف أن يتبع هذا الجزء بثلاثة أجزاء أخرى حتى يتم بذلك دراسة اللغات السودانية الشرقية

واني عارض هذا الكتاب ملخصاً لأهم النتائج التي وصل اليها المؤلف

يبدأ الكتاب بمقدمة عن اللغات السودانية الشرقية ومنطقة انتشارها وتقع هذه المقدمة في ٣ صفحات ويتلوها ٤ صفحات قدم فيها المؤلف شكره إذ ذكر كل من ساعده من الوجهتين المادية والعلمية . ثم بيّن الطريقة العلمية التي أجرى عليها الكتاب ، فقال انهُ كتبهُ ثم عرضهُ للنقد على الاستاذ فرث من جامعة لندن J. R. Firth of University College, London فاضطره فرث الى ان يعيد كتابة الجزء الذي يتعلق بالنحو على جهة تخالف التي سار عليها ، وهي تطبيق للنظريات اللغوية المعروفة باسمهِ . ويلي ذلك ثبت للمراجع يقع في صفحتين

ثم كتب مدخلاً من صفحة ١ الى صفحة ٨٤ قسمهُ قسمين : قسم عن القبائل ، تكلم في الفصل الاول منهُ عن توزيع القبائل السودانية الشرقية . وفي الفصل الثاني عن تاريخ هذه القبائل وغزوهم لحوض نهر ويلي . وتكلم في الفصل الثالث عن اثر هذا التزو من الوجهة التاريخية وخلص من هذا الى النتائج الآتية :

أظهرت الدلائل المتفق عليها من مقارنة اللغات والأساطير ان جموع البونجو — باكا او بعد ذلك جموع المورو — مادي هم اول من غزا الجزء الجنوبي من السودان عن طريق حوض نهر ويلي ومن المرجح ان المجموعتين ترجعان الى أصل واحد ، ويظهر أنهما نشأا في منطقة بين بحيرة شاد ومنابع نهر خاري . ويغلب على الظن أنهما انقسما الى مجموعتين في عصر متقدم وربما كان ذلك سابقاً لوصولهم الى منطقة نهر ويلي قبل أن يصير البونجو والباكا والكريش والميتو وحدات منفصلة

هذا واتصلت قبائل البونجو بقبائل الموسّو في حوض نهر ويلي وخضعت قبائل المورو مادي لقبائل الشلوك في القرن السادس عشر الميلادي . ومن المحتمل أن تجمع قبائل الكريش والميتو في ذاك الوقت كان قد استقر لأنا لا نكاد نلحظ أثر الموسّو والشلوك في هذه اللهجات

نزحت قبائل الندوجو — سيره في وقت متأخر الى حوض الويلي مع قبائل الموندو والبانجا والمايوجو وغيرهم وكانت هذه القبائل متفرقة منفصلة على الرغم من وجود امتزاج شديد

بينها . واستقرت قبائل الباسيري سالي نهر ميومو ، أما قبائل المورندو فقد اتجهت جنوباً واندمجت بقبائل لياكا وكانت النتيجة أن أثر كل من لغتي المورندو ولياكا في الأخرى وكانت قبائل البانجو في ذلك الحين قد وصلت الى مركزها الحالي في حين تحدثت قبائل المورو — مادي جنوب نهر الويلي بنوع خاص

تتابعت موجات الغزو في القرون الثلاثة الاخيرة على السودان الجنوبي فدخلت القبائل المختلفة بالتدريج الى حوض نهر ويلي آتية من الشمال والغرب والجنوب . وقد كانت أشدها من قبائل الأوشنجارا الرحل التي تدفقت على السودان الجنوبي خاصة ، واكتسحت كل من لاقاها من قبائل سودانية شرقية حتى صدم العرب وقامت بلاد الدنكا عقبة أمامهم . وهذه هي نفس العوامل التي وقفت تيار القبائل السودانية الشرقية الهاربة . وقد واجهت طلائعهم ثلاثة عوامل تقضاء عليها ، إذ كان لها أن تختار بين ثلاثة أمور . أن تفنى في قبائل الأزنده ، أو أن تتلاشى في قبائل الدنكا ، أو أن يسترقها العرب . وقد درست حالة هذه القبائل حديثاً فأرجعت اليها الحكومات الفائتة وحدتها القبلية بعض الشيء

أما فيما يتعلق بأثر العرب فهناك مسألة عامة يظهر أن كالون بوفو Calonne-Beaufaict قد أهملها في كتابه عن الأزنده

Azande Introduction à une ethnographie générale des Bassins de l'Uhanga—Uele et de l'Aruwimi, Brussels, 1921

وهذه المسألة أن غارات العرب من دارفور حدثت قبل غاراتهم من جنوب السودان بحوالي مائة أو مائتي سنة وليست تلك الغارات صلة بضغط العرب على السودان من الصحراء الكبرى . وكانت غارات العرب من دارفور في القرن السابع عشر الميلادي بمثابة سهم جعل قبائل السارا ترحل جهة الغرب ودفع بموجات قبائل الزنده جنوباً وعمل على تدفق القبائل المختلفة الى الجزء الغربي من جنوب السودان . فأثر هذا الخلط الشديد في السكان الحاليين لتلك المنطقة . ولم يترك تغلغل العرب الفعلي في هذه المنطقة أثراً كبيراً في مجموعه ، بل هو لا يعد شيئاً بجانب تغلغلهم في منطقة الاوبنجي — شاري

***

هذه هي أهم النتائج التي وصل اليها المؤلف في الباب الأول من كتابه . أما الباب الثاني (من صفحة ٥٦ الى صفحة ٨٤) فأفرده الدراسة اللغوية ، فتكلم فيه على خصائص مجموعة اللغات السودانية فالحامية فالبنتو ثم عقد فصلاً على خصائص اللغات السودانية الشرقية وآخر عن بعض

مبادىء وتعريفات عامة يجب مراعاتها عند دراسة قواعد اللغات السودانية الشرقية : وأشار في أثنائه ضمنا نحو اللغات الافريقية من عناء ووهن وجدوا أن وضع النحو على الطريقة المتبعة في دراسة اليونانية واللاتينية لا يصلح لدراسة اللغات الافريقية . كما إنه أشار إلى أنه لا يجب أن نتشبث فنصرح جانباً كل المصطلحات المتواترة ونستعمل مصطلحات جديدة ، بل الواجب أن نأخذ الصالح منها وأن لا نستعمل مصطلحات جديدة الا اذا عجزت المصطلحات المتواترة في الدلالة على المعنى المراد

ويتبع ذلك كله الجزء الأول من دراسة اللغات السودانية الشرقية وهو الجزء الخاص بمجموعة لغات مورو—مادي ويقع من صفحة ٨٥ الى آخر الكتاب

***

حصر المؤلف في هذا الجزء قواعد تلك المجموعة من اللغات ثم أضاف بعض النصوص وملحقاً بمفردات مع مقارنة لجميع اللغات السودانية الشرقية . وقد درس جميع لهجات المورو (ويبلغ المتكلمون بها حول ٢٠٠٠٠ نسمة) . ولهجاتها : ميزا وكيديرو ولاكا مادي ومورو إندري وأبالجي ومورو بنجي وادي

واللغات المتوسطة (وعدد المتكلمين بها نحو ٨٣٠٠٠) وهي اقوكايا ولهجات أدزيلا وأدزيجا . وكيليكو ولوجيارا ولوجو . ولهجة اجامي . أما لهجات المادي (ويتكلمها ٢٤٠٠٠ نسمة تقريباً فهي : لوكاي وباديكيري وأبورولو ولولو أبا . ولاختلاف لغة الندو عن هذه المجموعة من حيث النطق والقواعد اللغوية أفرد لها المؤلف فصلاً في آخر الكتاب . وقد اثبت نهائياً قرابتها من ناحية الاشتقاق للغات السودانية فوضعها الذلك ضمن هذه المجموعة بعد ان كانت تدرج غالباً في لغات البنتو

ولا يسعنا هنا الا أن نسجل للمؤلف هذا المجهود الجليل الذي بذله في دراسة تلك اللغات من الوجهتين النظرية والعملية ونخص بالذكر اختياره لأصلح الطرق في عرض قواعد اللغة بسطة قريبة المنال فقد طرح جانباً منهج جسبرسن التي ذكرها في كتابه « فلسفة قواعد اللغة » Jesperson A Philosophy of Grammer, London 1924, P. 91 والتي حصر فيها أجزاء الكلام الى : (١) الأسماء (ومنها اسماء الأعلام) (٢) الصفات (٣) الضمائر (ويدخل تحتها الاعداد) (٤) الأفعال (٥) الأدوات (وفيها الظروف والحروف على اختلافها) وقد أخذ المؤلف بطريقة دوك Doke بقدر ما تسمح به دراسة هذه اللغات بعد أن لاحظ ما استفاده دوك من دراسته للغات البنتو وأخرج كتابه عن المصطلحات اللسانية في لغات البنتو سنة ١٩٣٥

C.M. Doke Bantu Linguistic Terminology London 1935, P.28 قسمها دوك في كتابه هذا أجزاء الكلام الى :

اولاً الاسم — (١) اسم (٢) ضمير :

(أ) مطلق (ب) اشاري (ج) عددي (د) وصفي

ثانياً : الوصف — (١) الصفة (٢) الموصول (٣) العدد (٤) الملكية

ثالثاً : الاسناد — (١) الفعل (٢) المبتدا والخبر

رابعاً : الايضاح — (١) الظرف (٢) المحاكاة الصوتية

خامساً : العطف

سادساً : التعجب (ويدخل في هذا الباب النداء والامر)

***

لكن لنا على المؤلف بعض الاعتراضات فقد تغاضى في القسم الاول من الكتاب عن ذكر الموانع الجغرافية لتلك اللغات وتأثيرها في انتشار لغة ما او سهولة تأثرها في اخرى . وللاحظ ان هذه العوامل الجغرافية لها اثر كبير في اللغات الافريقية على الخصوص

ثم لم يستفد المؤلف من وجوده في تلك الجهات لاستغلال المتواتر من الأخبار لدراسة الناحية التاريخية وتنقلات القبائل بل اختصر الكلام في هذا الباب ولا يخفى ما للناحية التاريخية من أثر في تطور اللغة

وكذلك عرض خصائص اللغات عرضاً موجزاً كاد يضيع الفائدة التي أراد أن يجنيها من وراء هذا العرض

وهناك بعض أخطاء مطبعية كان يحسن أن ينبه اليها المؤلف خصوصاً فيما يتعلق بالصيغ اللغوية كما هو الحال في صفحة ١٣٤ سطر ٤٢ . أما الباب الخاص بالمفردات فقد أراد المؤلف أن يرجع الكلمات الى أصولها ولكنه تهاون في هذا فلم يذكر من الكلمات الدخيلة من اللغة العربية الا كلمة daragh درع ، وفاته مثلاً كلمة kusu قوس وكلمة nar نيظ (والمعنى : النار) وقد اشرنا اليها في مقالنا عن أثر العربية في اللغة النوبية مجلة المستشرقين الألمان جزء ٩١ كراسة ٣ سنة ١٩٣٧ صفحة ٦٢٥ (ZDMG, B. 91, H. 3, p. 625, Leipzig 1937.)

Arabischer Einfluss auf die Nubische Sprache

فهذه المآخذ لا تمس قيمة الكتاب . ونحن نأمل ان يهيأ للمؤلف اخراج الاجزاء الباقية الموعود بها حتى يتيسر ناحية لا تزال مظلمة في الدراسات الافريقية وهي تهمنا بنوع خاص لعلاقتها بالسودان

بقاع الجمال

وأثرها في الشعر والادب

لمحمد عبد الغني حسن

في كل اقليم من أقاليم الدنيا بقاع جميلة ، ومواطن تفتن النظر وتختلب اللب وتقف أمامها العيون مبهوتة تستوعب جمالها ، وتحاول ان تصل الى سر الحسن والملاحة فيها

ومن جمال البقاع ومحاسن الاصقاع ما يكون وليد الفطرة ، وصنع الطبيعة كالأنهار الجارية والوديان المتربة ، والجبال الرُّعن ، والقمم الشم ، والغدُر الرائقة والرمال المنبسطة او المتموجة كثبانا خلف كثبان ، وآكاماً إثر آكام

ومن جمال البقاع ما يكون مجلوباً لا جبلّة ، وصناعة لا فطرة ، كالبحيرات الصناعية والغدر المنشأة ، والحدائق المتضدة تنساب فيها الجداول . وتقام فيها القصائد . وتشذب فيها الحمائل ، وتنضد فيها الأرائك ، وتفرش أرضها بالحصى الملون ، والرمل المتناثر ، وتكسى أنحاؤها بالعشب الناضر ، والكلأ الأخضر

وهذه البقاع الجميلة خليقة ان تسمى مواطن الجمال ، ولها في الادب أثر كبير ، ولها عليه سلطان واسع . وهي ألزم للأديب لزومها للمصور البارع او الرسام المبدع . واذا كان في تاريخ الفنون الجميلة جملة صالحة من اللوحات الخالدة سجلت عليها ريشة المصور لطائف من الجمال فان في الادب جملة صالحة من قصائد رائعة ومن قطع خالدة سجلت جمال هذه البقاع في شعر جميل او نثر فني بديع

ولا يستقل بذلك الادب العربي وحده ولا ينفرد به ، ففي الآداب الأجنبية كثير من التراث الأدبي اهتم بمواطن الجمال فصوّرها وأحسن تصويرها

على ان هذه البقاع الجميلة قد تكون من ناحية أخرى مصقاة لعقل الشاعر او الكاتب كما تكون وحياً له والهاماً لأدبه

فمنطقة سبر (الالبون) بانكلترا من بقاع الجمال . ويكفيها فخراً أنها أنتجت البشرية أعظم شاعر عرفته الى اليوم وهو « شاكسبير » ولقد أعجبنا حينما زرنا هذه المنطقة بالجمال الطبيعي الساند

فيها والطير التي يسمعها ولم تكن على رأيها للصبح بالأريج العاطر أن يذهب الى « شاكسبير » ولا بد أن الذين قرأوا الشاعر الانكليزي « Wordsworth » ورد سورث لمسوا فيه تقديسه للطبيعة وتغنيه بمحاسنها حتى أنه ليكاد يذوب فيها . ولقد عقد الاستاذ « كامباباناك » المربي الانكليزي لعناصر فصلاً في كتابه عن التربية اختص به شاعر الطبيعة « ورد سورث » وبين ضرورة تعهد الطفل بعواطف الجمال ليكون ذلك عنصراً من عناصر تربيته

وهذا الشاعر سدين بحبه للطبيعة الى بقعة من بقاع الجمال هي منطقة « البحيرات » في انكلترا . فقد عاش فيها وسمع خرير مائها ، وخفيف أشجارها وتسلق بعض جبالها — كجبل كولستون — وسجل كثيراً من هذه المناظر الفاتنة الساحرة في شعر تصويري جميل . وكانت قرية « حرازمير » الهادئة الجميلة في منطقة البحيرات أحب مواطنها الى نفسه فعاش فيها ومات تحت ثراها — وأنبيه لنا أن نزور هناك قبره ومجانبه قبر أخته التي كانت تهيم أيضاً بهذا الجمال

وكان الشاعر الأميركي المشهور « هنري دافيد ثورو » يعشق الطبيعة ويأنف اليها ويبني له كوخاً قرب غدير (والدن) ألف عنده الطيور والحشرات والأسماك . وفهم تغريد الطير وصرير الجنادب وعاش في عزلة عن الناس أخرج في خلالها كتابه الخالد (والدن) الذي يعد بدعاً في الأدب الانكليزي

ولقد كانت بحيرة « ليمان » بسويسرا الهاماً للشاعر الفرنسي العظيم « لامارتين » وقصيدته « البحيرة » مشهورة مذكورة مترجمة الى الأدب العربي

وفي ولاية « هامشير الجديدة » بأميركا الشمالية . وعلى ضفاني نهر « ميرماك » الجميل تغنى « جايمس وسل لويل » الأميركي كثيراً من أناشيده الخالدة . وكان مثل صاحبه « ثورو » يفهم الطبيعة كل الفهم . ويحسن الأصغاء اليها اذا صوتت بالنسم الرقيق أو الزعزع العتاء . وكتابه العظيم « من شباك غرفة مطالعتي » أثر من آثار الجمال الطبيعي في نفسه

***

ولشعراء العرب نصيب عظيم من تصوير جمال البقاع ، وتسجيل المناظر البهيجة الساحرة التي تركت في نفوسهم أثراً . وهذه البقاع الجميلة كثيرة في أنحاء المملكة العربية الاسلامية وهي متباينة المناظر ، متنوعة المشاهد ... ففي شبه الجزيرة الرمل والصخر والأباطح الفيح التي تسيل بأشتات الظبا . . . وفي العراق الأنهار والمحلات والجسور ، والبرك والقصور . وفي الشام الغوطات الكثاف كغوطة دمشق . وفي الاندلس الرياض والأزهار ، والبراعم والنوار والوديان والأنهار . وفي مصر النيل والمراكب فيه صاعدات منحدرات .

ولا شك أن البحتري قد وفق التوفيق كله وأجاد الأجادة كلها في وصف (بركة المتوكل)

فقصيدته فيها تجمع الى حسن التصوير حلاوة اللون وحسن النغم ولا شك أن القارىء يقر لوصف البركة والنجوم منعكسة على سطحها بقوله

اذا النجوم تراءت في جوانبها ليلاً حسبت سحاباً ركّبت فيها

والقصيدة معروفة مشهورة متناقلة فلا داعي الى تدوين أبياتها. والبحتري مجيد الاوصاف مبدع فيها وليس كثير من الشعراء أوتي تلك الموهبة فهي تحتاج الى العين الحساسة الدقيقة — كعدسة التصوير الجيدة — والى الشعور المرهف، والى الندوة الشعرية في التعبير عن الجمال

ولقد أبدع البحتري أيما ابداع في وصفه الرياض الجعفرية في قصر الجصري الذي بناه المتوكل . وهي بقعة شهيرة من بقاع الجمال في الأدب العربي . اسمعه يقول :—

محضرة والنبت ليس بساكب ومضيئة والليل ليس بمقمر
ملأت جوانبها السماء وعانقت شرفاتها تطع السحاب المعطر
ونسيم دجلة تحته فقناؤه من لجة غمر وروض أخضر
شجر تلاعبه الرياح فتنثني أعطافه في ساعة متفجر

وليس من الضروري أن يكون المكان مفرطاً في الجمال أو بالغاً النهاية في الحسن الطبيعي ليحث ذلك الشاعر على تسجيله . فقد تكون البقعة جميلة لما للشاعر فيها من ذكريات ، ولما له فيها من صبابات مضت ، وعلاقات انقطعت . وحينئذ يذكرها بالحسرة ويود لو عاد سالف زمانها ، ومنصرم أيامها «كالحجون» و«الصفا» فقد ورد الشعر بخصوصهما كثيراً وهما ليسا بموطن فائق للجمال

كأن لم يكن بين الحجون الى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

على انه من المحقق ان في شبه الجزيرة الفاحلة وديماً كثيرة رأى الشعراء فيها نوعاً خاصاً من الجمال فدوّنوه وتغنوا به

وأكثر الأودية حظاً ، وأخلدها اسماً هو الذي خلدته حدونة الاندلسية بهذه الأبيات الرائعة ، وقد نسبت في بعض الكتب الى ابي المسلّى : —

وقانا لفحة الرمضاء واد سقاه مضاعف الغيث السميم
نزلنا دوحه فحنا علينا حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا — على ظمأ — زلالاً ألذ من المدامة للنديم
يروح جماه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم

وبعض البقاع — كبعض الأناسي محظوظ — تصادفه الشهرة وتدور حوله مجلة السعد ، فيدور اسمه ، ويخلد ذكره ، ليت قاله شاعر ، او سطر دوّنهُ ناثر . وأصدق مثال على ذلك

« شعب » بوّان . فقد جعلته أبيات المقري التي مطلعها هذا البيت . —

مغاني « الشعب » طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

***

واذا نظرت الى الأدب العربي وجدت ان أكثر ما يتعلق منه بالوصف ومحاسن الطبيعة يرجع الى الأندلسيين . ولهم في ذلك الحق كله . فبلادهم جميلة ناضرة . ورياضهم متمرة زاهرة وقد خرج العرب من الجدب الى الخصب ، فأحسنوا الوصف وأبدعوا المقال . وحقٌ لابن خفاجة أن يقول : —

ان للجنة بالأندلس لمحلى مرأى ومرتًا نفس
فسنا صُبْحتها من شفق ودجى ظلمتها من لمس
فاذا ما هبت الريح صبا صحت واشوقي الى الأندلس !!

ولقد ذكر الشعراء الاندلسي على طريقة التعميم . وبعضهم خصص فوصف وادياً بعينه أو روضة بذاتها أو جبلاً بنفسه فجاء وصفه كالأصل والصورة في المرآة — ومن ذكر الاندلس على وجه التعميم ابن سفر المريني حيث يقول : —

وكيف لا يبهج الأبصار رؤيتها وكل روض بها في الوشي صنعاء
أنهارها فضة والمسك تربتها والخمر روضتها والدر حصباء
والهواء بها لطف يرق به من لا يرق وتبدو منهُ أهواء

***

ومن المواطن الجميلة في الاندلس « العامرية » وهي نزهة جميلة من نزه الدنيا . فيها الشجر الملتف ، والغصن المورق ، والطير المفرد ، والجدول المصفق ، والزهر الناضر والنرجس الضاحك ، أنشأها « المنصور » الشهير بن ابي عامر ووصفها ابن الغريف بقوله من أبيات طويلة : —

انظر الى النهر فيها ينساب كالثعبان
والطير يخطب شكرا على ذرا الاغصان
والقضب تلتف سكرا بميّس القضبان
والروض يفتر زهرا عن مبسم الاقحوان
والنرجس الغض يرنو بوجنة النعمان

وكانت أشبيلية جميلة الموقع ، جميلة الضواحي فاتنة الدساكر . وبها من الوديان كثير . الاّ ان من بين هذه الوديان الكثيرة نذكر وادي الطلح في شرقيها وكان يرده الزائرون ، طلباً للعافية والتماساً للراحة ، واستجماماً للنفس . وفيه ما في وديان الاندلس من الماء والنماء . وكان

الشاعر المعروف نور الدين بن سعيد المغربي يتردد عليه في صحبة حبيب ، ويأنس من رقيب فذكره بأبيات كثيرة منها هذه الأبيات : —

وأذكر بوادي الطلح عهداً لنا لله ما احلى وما اطيبا
بجانب العقب وقد مالت الأغصان والزهر يبث الصبا
والطير مازت بين أجانها وليس الا سجعاً مطربا

ولشعراء الشام شعر كثير في وصف الطبيعة وذكر مواطن الجمال. ولعل اليقعة التي سجلها الشاعر بقوله

جوها سجسج وفيها نسيم كل غصن الى لقاه يميل
أيه يا ماء نهرها العذب صافي جذا يا زلال منك الغليل
أيه يا ورقها المرنة غني فحياة النفوس منك الهديل

لعلها مما يستحق التصوير في هذا الشعر الرقيق

(نهر بردي) بالشام من أهم البقاع وأكثرها دوراناً في الشعر العربي. وقد ذكره المرحوم احمد شوقي بك في قصيدته التي اولها : —

سلام من صبا بردي أرق ودمع لا يكفكف يا دمشق

كما ذكره في كثير من قصائده الشاميات ... وذكره أيضاً الشاعر الدمشقي حسان بن نمير يخاطب صلاح الدين الأيوبي :—

(ويا بردي) لازال ماؤك باردا وماء الحيا من ساحتيك نمير
أبى العيش الا بين أكناف جلق وقد لاح فيها أشمس وبدور
وكم بحمى (جيرون) سرب جآذر حبائلهن الماء وهو نفور

والآبار والعيون من مواطن الجمال الخالدة الخلدة في الشعر . وقد رأيتُ بعض العيون المشهورة في سويسرا وفرنسا وانكلترا وأدركت سر الجمال فيها . الا لمن الجمال هناك صناعي مجلوب بالنظرية والتجميل ولكنهُ على كل حال جمال

وفي الشعر العربي كثير من الآبار التي خلدها الشاعر ، وأبقاها الشعر . ومن ذلك (بئر الحجيلاء) التي قال فيها يحي بن طالب الحنفي مشوقاً :—

ألا هل الى نعم الخزامى ونظرة الى قرقري قبل الممات سبيل
فاشرب من (ماء الحجيلاء) شربة يداوى بها قبل الممات عليل ؟؟

ومنها أيضاً (بئر خدوراء) التي سجلها جعفر بن علبة الحارثي بقوله :—

ألا هل الى ظل النضارات بالضحى سبيل وتغريد الحمام المطوق ؟
وشربة ماء من (خدوراء) بارد جرى تحت أفنان الأراك المعوق ؟

ومن بقاع الجمال التي تغنى بها الشعراء العرب الديارُ جمع دير وكثيراً ما ورد وصفها في الشعر وتسابق الشعراء في تسجيل جمالها والاعتداد بها سنوا . ويظهر فضلاً عن وصفها أنها لم تكن ديار عبادة فحسب ولكنها كانت ديماً من بقاع الجمال فتنَّ الفنّ العبّاق في توشيتها وتحليتها ، وتبدع يد الفن في اقامتها وتشييدها وتحيط الطبيعة كلها بدائع من الطبيعة ما بين ماء يجري ، ونسيم يسري ، وشجر تتعالى أفنانه ، وتتعانق أغصانه ، وزهر أبهج الألوان ، مختلف الأشكال ، وغدر جارية وعيون ساهية

والشواهد على ذلك من الشعر كثيرة مبثوثة في كتب الادب ، منثورة في معاجم البلدان وللصنوبري الشاعر الوصاف في ذلك كلام يمتد ، ونفسٌ بطول . اسمعهُ يقول في (دير زكّى) قرب الفرات : —

شاهد بي ما أنت باقيات ... بأكرم معهدٍ ومألفين
تضاحكها الفرات بكل فن ... فتضحك عن اقار او لجين
كأن الأرض من حمر وصفر ... عروس تجتلى في حلتين
كأن عاتق نهري دير زكّى ... — اذا اعتنقا — عاتق متيمين..
أيا متنزهي في دير زكّى ... ألم تك نزهتي بك نزهتين ؟
ويا سفن الفرات بحيث تهوي ... هُويَّ الطير بين الجهتين
تطارَدُ مقبلات مدبرات ... على عجل تطارد عسكرين
تُراثا واطلبكما عهدنا ... بوصل لا تغصهُ بين !!

فهذه الابيات تصور لك الدير صورة جميلة وقد ضاحكته مياه الفرات ، وبدت فيه الازهار كأنها وشي ثياب العروس ، وجرت أمامه سفن الفرات صاعدة ومنحدرة ...

على أن للكتاجم الشاعر المشهور وصاحب الريشة المصورة الماهرة أبياتاً في وصف دير القصير بمصر يقول فيها : —

أما ترياق الروض كيف بكى الحيا ... عليهِ فأضحت ضاحكات زخارفه
تسربل موشيَّ البرود وأعلمت ... حواشيهِ — من نواره — وبطارفه
وقد نشر الوسمي بالطل فوقهُ ... لآلىء كالدمع الذي أنا ذارفه
وأعرس فيهِ بالشقيق نهاره ... فأشبع من ضع العذارى ملاحفه
ولاحظهُ بالنرجس الغض أعين ... فواتر اعياء الجفون ضعائفه ...

وقد أضافت كل هذه البقاع الجميلة ، والمواطن الفاتنة ثروة كبيرة الى الأدب العربي خليقة بالدرس والمعاودة من حين الى حين

الأدب العالمي

—١—

أرنست رينان

ارنست رينان فيلسوف عبقري استطاع ان يخلب عقول الجمهور الفرنسي بما حباه به الله من جرأة في الفكر تنسكب سلسالاً عذباً في أسلوب رقيق فيه الطلاوة والحلاوة والروعة . . . ولقد كان يمزج رأياً فلسفيًّا محضاً وعاطفة مشبوبة ، لا ينكر الاول ولا يتناسى الثانية ، فهو يجذب قارئيه في هوادة ورفق الى مذهبه الدهري على حين ينفث في قلوبهم نسمة هينة من العقيدة الدينية ، ويبذر في نفوسهم غرام الدهرية التي دان بها على حين يبث فيهم الشك في طقوسهم الدينية في غير عنف ولا شدة . وفي الحق لقد وجد في الايام معواناً وساعداً ، فكتابه « حياة يسوع » أخذ يدرج نحو الحياة والدنيا موج مضطرب بالآراء الدينية .

وسيطرت على العقول فكرة ما تبرح أن رينان قد ارتد عن دينه . زعم جماعة هذا الزعم وهو كان يبذل جهد الطاقة في أن يترس في نفوس الرومان الكاثوليك حب الخير والرقة والاخلاص والسمو ، وان يسدل على فكرة التثليث الالهي ستاراً كثيفاً ليمحوها رويداً رويداً من عقيدة النصارى

وظهر كتاب « حياة يسوع » فأجج ثورة جامحة كانت هي حدثاً من الأحداث التاريخية في عالم الأدب والفلسفة في القرن الثامن عشر فلقد رنّ صدى خبره في أرجاء العالم المسيحي لأن عبقرية رينان الأدبية وروعة اسلوبه ودقة عباراته وسمو خياله وقوة أفكاره لم يكن لها نظير منذ أن كان شاتوبريان الفيلسوف الحيار ، ولأن المفكرين من ذوي العقول الحرة الجريئة كانوا قد راحوا يتهدمون على رجال الكنيسة ، ويتدفقون سيلاً جارفاً من النقد الصارم على ما كان يجترمه

رجال الدين في ذلك الوقت ودوت الصيحة في كل مكان فاستلب رينان من كرسيه في كوليج دي فرانس بتهمة الالحاد والكفر . أفكان حقاً أن رينان قد مرق من الدين مروقاً وهو قد نشأ في البروتستنتية الفسيحة على يدي أمه البريطانية التي كانت تحاول أن يكون هو — في يوم ما — قديساً؟ ومهما يكن في الأمر من شيء فلقد حنق الأساقفة ورؤساء الدين على هذا الزنديق الخائن غير ان زمراً من صغار القسيسين الذين انكبوا على الكتاب يطالعونه في دقة وعناية تفتق فيهم من روح الكاتب العظيم ميلاً نحو رينان فكتبوا اليه رسائل فيها الثناء والاطراء ، يشجعونه ان يمضي على سنته ... ثم ... انتشرت آراؤه ...

ونشبت أبحاث رينان طرائق قدداً غير انها ما زالت تتصل بسبب بالأساة الروحية التي نزعته من العقيدة الكاثوليكية ، وبمذهب الدهريين الذي صبا اليه بما يكتب عن تاريخ الاسرائيليين والمسيحيين ، وبفصول ينشرها على الناس بين الحين والحين ليجنبهم اليه ، وبالمآسي والمذكرات الفلسفية التي يطلع بها على العالم بين الفينة والفينة

ثم ... ثم جاءت جيدته هنريتا تنشر على أعيننا صورة الرجل الفذ دونها كل صورة حين ضمت أشتاتاً من كتاباته وراحت تقلدها وتستخلص منها حياة جدها بما لها من نظرة ثاقبة تتلفت بها الى مشاعر الرجل وعواطفه . فهي بذلك قد أبدت للناس أشياء جهلوها ومحت أشياء ما هي من الحقيقة في شيء أشيعت حول الرجل لأغراض أرادها جماعة من أعدائه الذين حفظوا له في قلوبهم ضغناً من الضغينة والحقد ، ثم هي قالت ان العقيدة الدينية في الرجل ظلت تتنزى بين الحين والحين في قلبه رغم ما ثار حواليه من وشايات وافتراءات بشها زعماء الدين مدوية لأن هذه الجار لم يشأ ان يميل به الى حيث يسلم بمعتقدات الكنيسة ، ولأنه استل من بين جنبيه مبدأ فلسفيًّا لم ينزع عنه طول أيام حياته . على ان رينان — في فلسفته — أبى ان يقيم حداً بين الماديات والالهيات بل قدّس الطبيعة في مظاهرها جميعاً ، وبدا الانسان في عينيه مخلوقاً لم يركّب قط من عنصرين متفصلين هما المادة (الجسم) والروح انما هو وحدة اتحدت فيها الروح والجسم في وقت ساً فلا يستطيع واحد منهما ان يستغني عن الآخر

لم ينس رينان قلبه في حين كانت الأفكار الفلسفية الصعبة تضطرب في عقله ولكنه كان مثلاً عالياً من أمثلة الهوى والحب والوفاء والاخلاص ، تشهد بذلك قصة زواجه وحياته الزوجية ، وهو كان يرى في اتحاد الجنسين (الذكر والانثى) روحانية لا يسمو عليها اتحاد روحين ، ولهذا كره الرهبانية التي عكف عليها رجال الدين وسخر بها في أسلوب لذاع فاس

وكان في رينان العناد ، فهو يدفع عن آرائه في غير وهن ولا ضعف ، وفيه من قوة الأخلاق والشجاعة والصرامة ما بدا واضحاً جليًّا حين توزعته آلام المرض الطويل وهو على فراشه لم يتضعضع ولم يذل ، وحين أخذته سكرة الموت وهو ينظر في هدوء ورضا ، وزوجه الوفية الى جانبه ما تستطيع شيئاً لأنه طلب اليها ان تذره الى الطبيعة . . . الى أمه الرءوم . . . وهي تسترد منه وديعتها في عنف وشدة . . . ثم فاه بالكلمة الأخيرة وهو يحدث زوجه : خبريهم اني استسلم دائماً للقانون ، ثم أسلمته الحياة الناتجة الى الهدوء ... الى غاية كل حي

— ٢ —

في ندى مدام دو دوفان

مدام دو دوفان فتاة جذابة آسرة فيها روعة الجمال وطلاوة الحديث ولطف الشمائل ، وهي نبيلة المربى والمنشأ ، شبت بين السطوة والسلطان والجاه والمال في وقت معاً ، وبدت في المجتمعات — أول ما بدت — سنة ١٧١٨ عروساً للوصي على عرش فرانسا ، وما لبثت الا قليلاً ثم ساورها الملل والسأم حين لمست تفاوت ما بينها وبين زوجها فهي فتاة في ريّق الصبا وغض الشباب واكتمال الانوثة تنزى عاطفة وأملاً ، وهو رجل قد حطته الأيام وعث المشيب فاندفعت تعيش عيشة السرف واللذة واللهو شأن زميلاتها في ذلك الحين . ورمت بها حياة العبث في مطارحها لا تهدأ ولا تستقر حتى وجدت بغيتها في عنبولت ، في قاضي القضاة فألقت بنفسها بين أحضانه وتوثقت بينهما صلات . . . وعند الثالثة

والثلاثين من سني حياتها رحبت تستقبل في دارها رجالاً من أفذاذ السياسيين وجهابذة الأدباء وجدت في أحاديثهم لذة والسرور فابتدأ مجلسها الادبي وهو أول مجالس من نوعه . . . ثم هي تدعوهم — بين الفينة والفينة — الى غداء حوى من ألوان الطعام وفنون الشراب ما تطيب له النفس وتقرّ به العين ، وهي تهمة ما تبرح المائدة إلاّ وهي لا تجد في معدتها متنفساً ، ولعل إسرافها في الشراب والأكل كان بعض ما أسدل على عينيها ستراً كثيفاً فقدت بصرها عند الخمسين

ولقد كان في عقلها من النشاط والقوة بقدر ما كان في معدتها من تهم وشراهة فهي رفيقة فولتاي ومونتسكيو وفولتير . . . و . . . وأربعين من عباقرة الجيل ، وهي بينهم واسطة العقد والزهرة الفذة في هذه الطاقة اليانعة . وظلّ هذا النديّ يسمو حتى نديّ مدام جوفرين وهو قد ضم بين أضلاعه كتّاب دائرة المعارف ونخبة من البيسيين . . . ورسط هذا الجدال الفلسفي العنيف الذي كان يضطرم تحت سقف دار مدام دوفان فقدت هي عقيدتها الدينية ، غير أنها لم تكن تأذن لأحد أن يثلب الدين ، على حين كانوا يقدحون في حق الحكومة نقداً وتجريحاً ، واطمأنت هي الى هذه الحياة هوناً ما ، فعاشت في عقلها دون قلبها ، غير أنها لم تجد السعادة والمرأة لا تجد السعادة إلاّ أن تجد لذة قلبها — فكانت رسائلها تشف عن حزن عميق دفين بين ثنايا قلبها رغم ما فيها من نكتة ظريفة أو فكرة طريفة . . . وعاودها السأم مرة أخرى ، فأي هدف في الحياة ترمي اليه ، وأي أمل تهفو نحوه ؟ وبدت الحياة جرداء قاحلة حين ابتدأ الجمع ينفض عنها الى مجالس أخر ، وحين رأت نديّ مدام جوفرين يرقى روبداً روبداً فيسمو على نديها ، ولكنها تماسكت حين زعزعها الدهر . . . وأعانها السنى فبرهنت على بعض ما فيها من ذكاء وحزم وعزم ، واخترعت نوعاً من الآلة الكاتبة تسطر بها خطاباتها إلى أصدقائها وصديقاتها والملل ما يزال يتسلل الى قلبها فما انساخ عنها إلاّ وقد ولى شطر عمرها الحلو ، فأشرق النور على قلبها ولكنهُ لم يقو على أن يزيح عنهُ دياجير الظلام المتراكمة

ولشد ما آلم مدام دو دوفان أن ترى ابنة أخيها جوليا تهجرها لتؤسس لها نديًّا أدبيًّا في الطبق العلوي ! إن جوليا شابة في ريعان الشباب وهي طفلة غضة

بنية فتاة تستهوي القلوب بجمالها ودلالها وتأسر الأفئدة برقتها وحلاوتها ، فكيف لهذه العجوز التي تخطو نحو الغاية في خطىً فساح أن تنازعها الأمر ؟ وجوليا هي منها بمثابة الابنة لأنها لشأنها وسهرت عليها عمراً من عمرها أفتستطيع أن تغلط عليها أو أن تقسو أو أن تحذرها منية أمرها ؟ وأخذ الغيظ والكمد يتسعران في قلب العجوز وهي ترى ابنة أخيها تسمل الناس اليها فتسلبهم منها رويداً رويداً لتخلف لدى العجوز فقراً الاَّ من بقية لا غناء فيها ولا سلوة . وبدت جوليا لتلك حديثة عابثة مستهترة لا يردعها دين ولا يردعها ضمير فربطت بينها وبين ثلاث من اصحابها في وقت معاً برباط ليس هو من الشرف ولا من الطهر ... ووجدت مدام دو دوفان ثغرة فانفذت منها والغيرة توشك أن تعصف بعقلها ... اندفعت تسخط على الفتاة بكلمات قارسة لذاعة ثم قذفت بها الى خارج الدار

على أن مدام دو دوفان ظلت عمرها الطويل تحمل بين جنبيها قلباً فتيًّا لم يتسرب اليه برد المشيب ولا يأس الدهر فهو يغتنم الفرصة ليخوض في بحر الهوى كأنما هو في سني الشباب الأولى ...

وعرفت السيدة وهي عند الثامنة والثلثين بفتى انكليزي كاتب هو هوراس والبول ... عرفته حين ابتدأ يتردد على باريس في الفترة بعد الفترة فراعها أن ترى فيه البغرية والظرف والرقة و ... أشياء أيقظت في قلبها خواطر دفنتها منذ زمان وأحست كأن شيئاً يدفعها إليه فاض في فؤادها سيل من الحنان الأموي والهوى الجامح في وقتٍ معاً ، ولبثت هذه الآصرة بين العجوز والفتى عشرين سنة ، واختلفت بينهما الرسائل ، فرسائلها تحمل إليه عاطفة جياشة ثائرة في كلام عذب جميل هو بعض نزوات قلبها ورسائله تحوي عطفاً عليها وحناناً ثم يعتب عليها في غير إسراف أو ينطوي عنها في فتور أو يؤنبها في قسوة وملال . وأنى لعجوز عياء أن تجذب اليها قلب هذا الشاب ليكون لها وتكون هي . . . . ؟ ولعلها أرادت أن تجد فيه أنيساً في وحدتها وخلوتها لا تجد في هذا العالم من يخفف عنها بعض آلام الحياة ومصائبها ... ثم ... ثم ماتت وعلى فراشها خطاب الى الرجل الذي أحبت ...

كامل محمود حبيب

« فجر القبرة »

« كثيرون يعرفون القبرة بشكلها الرمادي الاغبر وصوتها الرفيع الرنان. ولكن القبرة من الطيور القريبة في حياتها وتأملها للحياة. وروحانية تبلغ أسمى ما يبلغه الروح ومادية تنحط الى أسفل سافلين. ففي حالتها الاولى تراها تغرد اعماق الجو عند منبلج الفجر ترد الغناء سكرى بالجمال حتى اذا بزغت الشمس فرغت الى الارض تفتش عن غدائها غافلة عن غنائها. ومثل هذا المشهد قد يصور أحسن تصوير حالة الذين يرقون الى شمس الحكمة بأرواحهم، ثم لا يقدرون على مقابلتها فيهبطون، فلا الارض تذهلهم عن السماء ولا السماء تفصلهم عن الارض. ولا شوقهم يخنق، ولا ارواحهم يساكة. هؤلاء هم كهنة القبرة » خليل

أسمعها : أسمعها بعيدة عني ، دانية مني .
أسمعها يشق غناؤها الفضاء الذي تفتح جفناه
أسمعها يغسل شعاع قلبها مع شعاع الفجر

قد انجلت — يا قبرتي — غياهب الليل، بعدما ظننتِ أن هذا الليل سرمد لا يزول وانزاحت عن الأفق كتائب الظلمة، وقد خلتِ ان هذه الألوان الربداء لا تحول. وسطعت لكِ المروج بعد ما حسبت انها توارت عن عينيكِ الى الأبد !

أراكِ تمعنين في التحليق ، حتى لأرى أنامل الفجر تجذبك اليها :
فاذا تركتِ في الجو بالأمس ؟
أشيئاً تفقدينهُ كل مطلع فجر ؟
أم أغنية تحملينها الى الفجر ؟
أم أمانة تتسلمينها من الفجر ؟

أرى جناحيك يرفّان ويخفقان ،
يرتّدان طوراً وطوراً يلتهبان .
وصوتك المرن يصعد في السماء
تسمعهُ الارض فتهتز قليلاً ، ثم تتوارى كأن لم يكن شاد ولا غناء .

هي سكرة قدسية — يا قيثاري — ترفك الأوج السامق
ترفك على جناحي الشوق ، وتتطفك بلفة الثناء
فما أسمى هذه السكرة التي لا يخللها صحو !
وما أبدع هذا الشوق الذي لا يعقبهُ وصال .

أنتِ من فجرك — أيتها القيثارة — في صعود دائم
أنتِ من شوقك في وصال قائم
تمجدين الشمس في الغفوة التي تتعانق فيها أشعة الفجر وخيوط الليل .
وترفعين اليها صلاتك وغناءك قبل أن تطل عليك .
حتى اذا لمعت في الافق ووقعت عيناك على نورها الخاطف ،
فررتِ الى أطباق الارض عشواء العينين واجفة الفؤاد .

ألا تمهلين قليلاً حتى تراك الشمس وانتِ في الاطباق العالية تغنين لها !
ألا تمهلين حتى تتمتع عيناك بالكوكب الساطع
ويرتاح قلبك لمن خفق للقائه شوقاً وحنيناً .

عينك لم تستطع ان تحمل شعاع شمس « المعرفة »
وفؤادك ناء باقراغ شوقه للحبيب !
وفي اللحظة الاخيرة تراخى جناحاك ، وعشيت عيناك .
وتدحرجتِ على الارض بعد ان رقيتِ معارج السماء .

ألم تتذوقي لذة الشروق ؟
ألم تطعمي طعام ذلك العالم العلوي ؟
ألم يكشف لك عن خزائن ذلك الوجود
الشوق والغناء والويل والعناء . . . كلها تذوب تحت لوائك أيتها الشمس !

ما وصلك الذي تغنين به ؟
ما شوقك الذي أمم الفضاء

ما شكرك الذي لا صحوة فيه ؟
اذا كان نور « الحقيقة » لا تحملهُ عيناكِ .

أتخافين احتراقاً في الاجواء
الها بين التطلع الى شمس المعرفة !
أم تسلين كل يوم الى المعرفة وتفنين على بابها، فاذا أطلت تواريتِ من وجهها المهيب ، وآثرتِ ان تحطي صامتة .
كأنك كلما صعدتِ مرة ذهب جزء من روحك وراءها في الفضاء وهكذا حتى تتوزع اجزاؤك كلها وتبلغي المرحلة الاخيرة .

وددتُ — يا فراشتي — ان أراكِ تزيدين امعاناً في التحليق !
وددتُ ان أراكِ صاعدة حتى لا يبقى على الارض منكِ شيء
وتمنيت ان تزيدك لا تفتأ تتردد في الجو مبتعدة عني حتى تصيري تريبة صامتة.

أهلاً بك أيتها العائدة من عالم المعرفة ! منتصرة او منكسرة
ففي عينيكِ ذبول الشوق
وفي قلبكِ لهيبه
وفي جناحيكِ وجيبه

لم تذوقي — بعدُ — تلك الكرة العميقة التي لا يعقبها صحواً !
ولم يضرم قلبك ذلك الشوق الذي لا يُسلمك الا الى شوق.
لم تحبي شمس المعرفة محبة كلية شاملة ولم تؤثري الفناء فيها .
أتخافين احتراقاً في هذه الشمس !
ادني واقتربي ! أيتها القبرة من الشمس
وتابعي أغنيتك حتى تحترقي ،وتردك الشمس الى الشمس،
يا فراشة الطيور المحترقة بدون لهيب

« دير الزور » « خليل هنداوي »

باب المراسلة والمناظرة

شيء حول « تشرتشل »

« بمناسبة ظهور كتاب تشرتشل لمحرر المقتطف »

إن القارىء لا يستطيع أن يفرغ من هذا الكتيب بغير أن يكون قد وقف أمام عبارتين للرجل ومرتقبين له . فاذا تمثلها فقد تجسمت لديه الخطوط الخارجية لهذا الرجل

فاما العبارتان فهما هاتان : « هل طاب لك القتال » يقولها الجندي في الحملة السودانية ، و « هل تجد متعة في القتال » يقولها الجندي في الميدان الغربي في الحرب الماضية . واما الموقفان فهو ما كان من خروجه على زعيم حزبه المحافظ حين أراد العدول عن مبدأ حرية التجارة ، وانضمامه الى الأحرار و « قلب سترته » ، والآخر هو ما كان من تمثيلة الاسطول قبل أن يصدر المرسوم الملكي بذلك وبغير أن يمنح سلطة من الوزارة

ويحسبني هذان الموقفان ، وتلك الكلمتان لتخطيط هيكل الرجل كما يصوره الكتاب : رجل قتال بكل ما في الكلمة من قوة وعنف ، يتشوق القتال ويتلمس اليه السبل ، وهو بعد ذلك رجل يميل بطبعه الى الرأي الطليق والتفرد بالأمر وحمل مسئوليته كاملة

فأين هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين تتخيل زعيم أمة تحب ان تقدم نفسها للعالم محبة للسلام كارهة للحرب ، ولا تنشأ تدعو لنفسها بحب الحرية والديمقراطية وكره الطغيان والنظم الفردية ؟ وأين هذه الصورة من الصورة التي تتجمع لدينا حين نقرأ للرجل ونسمع الى حديثه منددا بقوى الشر والظلام ، وسعيها نظم الاستبداد ، ومبشراً بعهد يسود فيه العدل والقانون في علاقات الدول فلا تكون بها حاجة الى امتشاق الحسام لقوي ما يتشجر بينها من خصام ؟ اني أرى في هذه الصورة الاخيرة رجلا خريج البيئة الانكليزية بما فيها من سيادة الشعب ورأي الاغلبية ، وبما فيها من حب الشعب للسلام ، فاذا استثير دخل المعركة بقلب كئيب لانه لم يقبلها الا حين أصبحت السلم شرا منها وأثقل وزناً

ولا أريد أن أقول ان الصورتين تناقض احداهما الاخرى في الواقع . بل انما ادعي أن الصورتين تكمل احداهما الاخرى بما يظهر عليهما من هذا التناقض والتضاد ، ومن تكاملهما يخرج لنا رجل ينبض بالحياة . فاذا نحاول دائماً أن نجعل خلق الشخص خالياً من التناقض ، وتصرفاته غير

شعوبة التضاد : ربما لا نكاد نجد رجلاً يتصرف في كل شيء طبقاً لمنطق واحد ان « الطريق » هي كل شيء في دراستنا وتصرفاتنا . ولذا فأنا أجمع الى صورة تشرتشل صفات من شدس وأبي الخاعة ، ويتسق التفرد بالأمر مع ذلك ، ومن يطالب السلام ويتظر اليه كاعز أمنية لدى البشر ولكنه يهوى المعركة ويطرب لها ويجد فيها الحياة النشطة الجديرة بأن تسمى حياة : فهل ترانا نتكلف حين نجمع لرجل هذه الصفات المتباينة في وقت واحد ؟ يفصل في هذا ان نقرن الرجل برجلين عرفهما التاريخ وعرفنا عنهما الكثير ، نتجد بينه وبين كل منهما شبهاً كبيراً ؟ ثم ننظر اليهما معاً ، فنجدهما يتباينان أشد التباين . ولأستدرك فأقول إني لا أريد ان أقول هل تشرشل قرين لهما ، أم هو دونهما ، أم انهُ قد شاركهما ، فهذا كلام يقوله التاريخ بعد أجيال

فيذكرني تشرتشل بابراهام لنكلن حين ألظر الى وقفته الجارة في وجه التحدي ، وهزئه بالعاصفة معها تقتلع من شجر وتدمر من حضر ، ثابت الجنان غير مزعزع الايمان . فكذلك فعل لنكلن عندما هدد أهل الجنوب بالانفصال وأخذوا جنوده على غرة ، وأرادوا أن يفرضوا عليه ارادتهم بالقوة ، فصدئذ رسخ كالطود ، وذب عن رأيه وعقيدته ، ولم يقصر في تحدي العاصفة ما استطاع الى ذلك سبيلاً ، ووطن النفس على كثير من الدم والدموع والمحن والعرق وراح يبشر بمبادىء الحرية الفردية واستهجان العبودية والرق وحب السلام . وكان نصير الديمقراطية والحرية . هكذا الرجلان . ولكن مع الفارق : فابراهام قد دخل الحرب بقلب كئيب وفؤاد كسير حين رآها شراً لا بدَّ منهُ ، وهو يحاسب نفسه كل يوم كم قتل من أمته ، ويود لو استطاع انهاء الحرب وقتل الغرائز التي تسوق اليها ، وهو في ذلك صاحب فلسفة بديعة وأفكار سامية ، وليس عجيباً ان نراه يفخر إبان المعركة ، حين يذكر شيئاً عن ماضيه ، بأنهُ قد انخرط في سلك الجنود لمحاربة الهنود الحمر ولكنهُ لحسن الحظ لم يقتل بيدقيته أحداً . فأين هذا الرجل من تشرتشل الذي تطيب له الحرب ويجد متعة في القتال !

وهنا يذكرني تشرتشل بنابليون . وكيف لا أفعل وقد قرأت عنهُ كيف كان ينقطع ساعات طوالاً في إحدى مغارات كورسيكا يقصف بمدفعه النحاسي ويهيىء جيوشاً ويدبر خططاً للهجوم والدفاع ، ثم طالما أقرأ عن تشرتشل قصة طبق الأصل من هذه ؟ وأين الرجل الذي يؤرج الحرب بكل ما في الطاقة من بأس ، وما وهب الله من قوة ، لشبيه بالرجل الذي يستمر في سرجه سبع عشرة ساعة يشرف على ميدان القتال : ينظم البنود ويحفز الجنود . ألا يشبه تشرتشل ابراهام ؟ ألا يشبه كذلك نابليون ؟ ومع ذلك فان لنكلن ونابليون يختلفان أشد الاختلاف . او هكذا يصورهما التاريخ

تشرتشل ولنكلن : كلا الرجلين ترجم انه أحسن التعبير عن افكارهما وارادتهما . ولكن الأول يقاتل مقاتل مقاتل بطبعه ، والآخر مسالم وديع يغرب اخلاقاً من الملائكة

تشرتشل ونابليون : كلا الرجلين فطر على الشغف بالمعركة كأروع ما تكون ، في سبيل غايته ، وكان الأول زعيم أمة في فترة من حياتها ، والآخر قائد جيش

ويجب أن نقرر بأن في تشرتشل دماء الحاكمين بأمرهم كأحر ما تكون الدماء . ولكنه بحكم الظروف يدافع عن قضية الحرية الشخصية والحياة الديمقراطية . والذي كبله في هذا السبيل تقاليد أمته في السلم وهي أمتن من نفسه وأرسخ في عروقها من دمائه الحارة في عروقه ، وتقاليد أمته في الحرب وهي مشجع وحافز لنزعاته النفسية ، ومفرج عن مرجل روحه الثائرة الفائرة . وإذن فليس من الصدق ان تشرتشل لم يتلألأ نجمه الا على أطلال المعارك والاشلاء في الحرب تنزل امته عن أكثر حرياتها وتحصر زعامتها في أيد قليلة ، وان شئت الاحرى في يد واحدة . بينما هو في السلم منبوذ من الأمة مقصي به عن الحكومة

ومن الانصاف للامة الانجليزية انها لم تتخذ على رأسها تشرتشل والسلم وارفة الظل ، لأنه — في اسلم — شذوذ عنها وخروج عليها . ومن الانصاف لها انها قد تخذته على رأسها وقد استحر القتال — فهو — في الحرب — خير معبر عنها . هذه كلمة أرمي بها الى قرارة كتاب الاستاذ فؤاد صروف عن ذلك الرجل الجدير بالتقدير

عبد اللطيف غزالي

أبحاث علم النفس

في التربية والتعليم للاستاذ ادمون عبد النور

هو كتاب أشر بكثير من الغبطة اذ أقدمه لقراء الثقافة عامة وهيئة المدرسين ووزارة المعارف خاصة . وهو مجموعة بحوث قيمة لخمسة وعشرين عالماً ومربياً اميركيًا . نقله الى العربية الاستاذ الفاضل ادمون عبد النور . وقد امتاز هذا الكتاب بدقة البحث ووضوح الغاية بالرغم مما في ترجمة مثل هذا المؤلف من صعاب لكثرة ما جاء فيه من اصطلاحات علمية لم يرد لها ترجمة عربية من قبل. فذلل الاستاذ المترجم كل هذه الصعوبات ووضع لهذه التعبيرات العلمية الفاظاً عربية صحيحة

وهو يبحث في موضوع كان وما يزال مثار الجدل الشديد ومبعث التناقض والاضطراب وهو موضوع معالجة مشكلات التعليم المختلفة . ويعالج علماء الأميركيين مشكلة العاطلين يبحث وافر في فصل « التربية هي المقدرة على النمو في المستقبل » . فالطالب الذي يتم سني دراسته ثم يقعد عن العمل لأنه عجز عن التوظف في الحكومة هو مشكلة تعليمية . فتعليمه من أوله كان ناقصاً فاسداً . وكم من المتعلمين العاطلين في بلادنا هم نتيجة سوء التربية والتعليم . وهذه حقيقة أثبتها علماء أمة حديثة تقدمتنا في الرقي والعلم بمراحل . ولقد عنيت الدوائر التعليمية الأميركية عناية خاصة بعلم حفظ الصحة العقلية لأنها رأت بعد البحث الدقيق ان سبب شذوذ

التلاميذ واخفاقهم هو نقص الصحة العقلية. ولا يقصد بذلك حالة الجنون العقلي ولكن سوء التفكير الناتج من الفقر والانحطاط المعيشة ومرض اصابة التربية. فرأوا ان السبيل الوحيد الى علاج هذا النقص هو عناية المدرسين بصحة التلامذة العقلية. ويسحب كل بحث من بحوث هذا الكتاب رسوم بيانية لبيان سير التعليم والنسيان، وكفاية تعلم المواد الاجتماعية بالنسبة الى العمر، ومقدار الوعي بالنسبة للثروة وغيرها من البيانات مما يجدر بالمدرس الاطلاع عليه

أما مؤسس «التعليم» بقلم العلامة روبرت ديفز فقد كانت له اهمية كبرى في دوائر التعليم الاميركية

ومن أبحاث الكتاب ما يعالج تعليم اللغات وهو بحث مهم بالنسبة الى مدرسي اللغة العربية لأهمية ما جاء فيه من تيسير اللغة للناشيء. ويبحث أحد مؤلفي الكتاب في «موضوع توزيع الجهد» فيقرر ان الحفظ المتواصل أياماً معدودة قبل الامتحان مما يخالف مبادىء الدراسة الصحيحة. فهو ليس طريقة فعالة لاكتساب المعارف وتثبيتها. اما الحفظ المنظم في فترات متقطعة موزعة مدى العام المدرسي فهو يتيح لنا فرصة موائمة لكي تنظم ما اكتسبناه وتصل الى أعماقه من غير سأم ولا اجهاد. أما بحث كيفية تحسين التعليم فيه عدة تجارب أجريت في طلبة مدارس مختلفة وفي موضوعات متنوعة ليقرر أيها أجدى لفائدة الطلبة. وأقل ما في هذه التجارب انها تساعد المدرس على تحسين طرق التدريس وأساليبه التعليمية. فالمدرس الذي يكتفي بتعليم الحقائق والمعلومات فقط لن يُكسب تلاميذه فوائد أخرى

وقد فطن أحد علماء النفس الى ضرورة تنمية رغبة المطالعة في نفس النشء، فكتب فيها أبحاثاً مطولة. وهو يعزو نجاح التلميذ في مراحل التعليم الى وفرة المطالعة ونوعها

وأعتقد أن من أهم بحوث هذا الكتاب فصل الفروق الفردية الذي يبحث في حقيقة ما يأتيه الفرد من أعمال في المدرسة أو في وظيفته بصفته فرداً اجتماعيًّا فان هذا لا يتوقف على مستواه في الكفايات العقلية فحسب، بل يتوقف ايضاً على عوامل أخرى منها العوامل الشخصية والصحية والبدنية، فكثيراً ما فسدت العقلية النابهة بسبب صفات سيئة تلصق بالشخصية

وهناك بحث طريف في كيفية تصحيح إجابة الامتحانات وكيف اختلف عدد من المعلمين في تصحيح ورقة واحدة فتفاوتت الدرجات ما بين ٣٠ و٩٨ في المائة. ومن أبحاث هذا الكتاب أسباب العجز في المواد الدراسية وطرق الوقاية والتشخيص والعلاج، والآراء الحديثة في فلسفة التربية، وأثر علم حفظ الصحة العقلية، وكيفية معاملة التلاميذ الشواذ وكلها مزودة بآراء سديدة وعلاجات ناجعة

وأخيراً أهنيء قراء العربية عامة والمشتغلين بالتربية والتعليم خاصة بظهور هذا الكتاب في اللغة العربية. وأشكر للمترجم ما بذل من جهد وعناء في سبيل ترجمة هذا البحث الثمين الذي كانت تفتقر اليه دوائرنا التعليمية

الآنسة أمينة شاكر فهمي

عقيدة اسوالد اشبنجلر

صديقي الفضال الاستاذ رئيس تحرير المقتطف الغراء

بعد التحية والسلام ، قرأت ما كتبهُ الاستاذ علي أدهم ردًّا على كلمتي في يهودية الفيلسوف الألماني أسوالد اشبنجلر في عدد ابريل من مجلتكم الغراء ولكن انحراف صحتي والاشغال الأخرى حالت دون ان أكتب اليكم قبل الآن ما بدا لي فيه ، فأرجو منكم التفضل بفسح المجال في العدد المقبل لما يلي ولكم الشكر الجزيل : —

أولاً : أشكر الاستاذ على نشره المصادر التي اعتمد عليها في حكمه بيهودية اشبنجلر بناء على طلبي

ثانياً : حين وصفت اشبنجلر في كلمتي السابقة بدقة التفكير وقوة البصيرة لم أقصد به انكار يهوديته كما فهم الاستاذ بل قصدت به وصفه الحقيقي مبنيًا على الاطلاع التام ودراستي الوافية لفلسفته وأفكاره . وأخشى ما فهم الاستاذ فاني أعتقد ان الذكاء ، والعبقرية ، والحصافة ، والبصيرة من مواهب الله يمنحها من يشاء من الأفراد سواء كان مسلماً او مسيحيًّا او يهوديًّا او بوذيًّا وليس من محتكرات جنس دون جنس ولا من اختصاصات قبيلة دون قبيلة

اما « باروخ سبينوزا » الذي ذكره الاستاذ فأعرف منزلته في تاريخ الفلسفة واثره في تحول الفكر الانساني ولكنه مع هذا لو قرأ مصنفات اسبينوزا ومصنفات اشبنجلر لوجد بينهما بوناً شاسعاً من حيث جودة الأسلوب ، ودقة التفكير ، وقوة البصيرة وأستقصاء الموضوع ، واسبينوزا لم يصنف في فلسفة التاريخ والثقافة شيئاً ، وفلسفته في الحقيقة تمد الى مدى كبير صدى الفلسفة العربية الاسلامية ، وهو امر اعترف به كبار فلاسفة الغرب ومفكريه أذكر منهم الآن الفيلسوف وندلباند[1] والاستاذ آدم متز[2] ونفس الفيلسوف اشبنجلر[3]

اما تأثر الشاعر الالماني الكبير جوته به ، فلا أنكر ان هذا الرأي يراه بعض الكتاب والمفكرين ولكن بعضهم ينكر ذلك ، وقد قرر اشبنجلر في كتابه « انحطاط الغرب » ان جوته في تصوراته وافكاره كان تلميذاً للفيلسوف الالماني الكبير جوتفريد ولهلم ليبنتز Gottfried Wilhelm

---

(١) راجع Windelband : Allgemeine Geschichte der Philosophie Band I, V, S. 484

(٢) راجع A. Mez : Die Renaissance des Islams S. 194

(٣) راجع Untergang des Abendlandes Band II S. 294, 395

... واننا أزيد عليه انهُ كان نفيذاً للشرق كذلك من تأثره في مصنفه الشهير « الديوان الغربي الشرقي » بالافكار الشرقية وعلى الاخص افكار شعراء ايران وتصوراتهم وأساليبهم ، وفي اشيده الشهير في سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام الذي لم يتمه في حياته ، أكبر شاهد على ذلك

ثالثاً — ان المصادر التي اعتمد عليها الاستاذ في حكمه بيهودية اشبنجلر ليست من القوة بحيث تعطي لنا علماً يقينيًّا فيه لأن هذه المصادر إما يهودية او انكليزية او أميركية ومحاباة الانكليز والاميركيين لليهود بعد انتفاعهم بهم في الحرب الماضية معلومة للجميع ، ومشهودة في سعيهم المستمر لتوطينهم في بلاد العرب . فالحق انهُ لا يسعنا في الحكم في مثل هذه الأمور أن نغض النظر عما للعوامل السياسية الاخيرة والتعصبات الجنسية الحاضرة من التأثير في عالم التصنيف والانتاج العلمي . فنفس عنوان الكتاب « دجال . دجال » أو « ماذا يريد هتلر » يوضح لنا قصد المصنف وروحه ولا سيما في الظروف الحاضرة . والعالم المحب النزيه العدل مهما أحاطتهُ الظروف يعز عليه أن يقول قولاً لا يسوغ فيه عن الاسفاف وان ينتقد ولا يتمثل فيه بوائع الأدب وان يبحث ولا يتبع فيه الحق

لسنا من منكري اشتراك اليهود في بناء صرح الحضارة الحاضرة مع الأمم حق ولو كان الالمان منهم قبل ربع قرن أو أكثر فان الألمان كانوا يعيشون حينئذٍ في المانيا مع اليهود في غاية الوفاق والمحبة كشعب واحد من عنصر واحد ، ولم تصب وحدتهم بالتصدع الا في الحرب الماضية فذاق اليهود بعدها من آلام الاضطهاد على أيدي الألمان ما ذاقوا

رابعاً — ان مايدفعنا الى الارتياب الشديد في يهودية اشبنجلر بل الى انكارها هو شهادته في مصنفاته على نفسه لأن شهادة اقوال الرجل وآرائه وأعماله على نفسه أقوى وأوثق من شهادة غيره عليه . فهو عاش في المانيا في زمن بلغ اضطهاد اليهود فيه ذروته حيث أنزل بهم أشد النكال وألحق بهم أعظم الضرر وحدث ذلك كله بمرأى ومسمع منه وهو لم يحول ساكناً ولم يخفض لهم جناح الرحمة ولا وطَّأ لهم مهاد الرأفة بفكره الجوَّال وقلمه السيَّال ، بل بقي طول أيام حياته أكبر داعٍ الى « الجرمانزم » و « والبروشيانزم » كما يدل عليه جميع مصنفاته حتى رأى في بعضها إن العلاج الوحيد الناجع لما وصل اليه العالم من الوهن والضعف والفوضى والارتباك في جميع نواحي الفكر الانساني وأعماله هو « البروشيانزم » Preussentum

هذا وقد سألت زملائي الاساتذة في الجامعة من الذين عاشوا في المانيا سنين وتخرجوا من معاهدها فأقر من عرفه بأنه لم يكن يهوديًّا

القاهرة السيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

مكتبة المقتطف

الرسالة

للامام الشافعي

شرح وتحقيق الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي

اخراج كتاب قديم اخراجاً علميًّا حديثاً وحسن القيام عليه ، وترتيبه وتبويبه وضبطه وشرحه ، وتحقيق أعلامه وتنظيم فهارسه ليس من الأعمال السهلة الهينة التي يتوقف نجاحها على المادة والورق . ولكنهُ عمل عظيم يتوقف على علم مخرج الكتاب وتمكنه من مادة الكتاب وسعة اطلاعه على كل ما ألف حول موضوع الكتاب وما كتب قبله وما كتب بعده وتنظيم عقلية المخرج تنظيماً يبعد به عن الجنح الى الاضطراب والميل الى الخلط ، وحسن ذوقه في الاخراج حتى يظهر الكتاب شيئاً سويًّا يسحب الراغب ، وينجد الطالب ، ويعين على فهم المسائل فهماً صحيحاً ، وادراكها ادراكاً تامًّا

ومن الحظ الحسن ان تتاح هذه الشروط وكثير غيرها لفضيلة الاستاذ الشيخ احمد محمد شاكر القاضي الشرعي الذي قدم الى علماء الدين ، وأعلام الفقه ، وعشاق الاطلاع العلمي ، واذا شئت فقل انهُ قدَّم الى المكتبة العربية هذا الكتاب العظيم للامام الشافعي فجاء يحق مثالاً ناطقاً في حسن الاخراج للكتب القديمة على نحو علمي ، ومنهج نظامي

ولم يدع الاستاذ الجليل هذا الكتاب من غير ان يقدم بين يدي القارىء مقدمة تبلغ الثلاثين صفحة ، ذكر فيها شيئاً عن حياة الشافعي واشتهاره بالعلم والفضل ، ودخوله العراق ثلاث مرات ، وخروجه الى مصر . ثم ذكر مكانه بين علماء الاسلام ، ووضعه بين أئمة المسلمين فجعله أولى العلماء بأن يقلد ، وأحقهم بأن يتبع

والحق ان للعلماء في الشافعي شهادات لا تنكر ، وما منهم الاَّ مثنٍ عليه او آخذ عنه ، او آسف على ما فاته منه فهذا داود بن علي الظاهري يقول في كتاب مناقب الشافعي (قال لي اسحاق بن راهويه : ذهبت أنا وأحمد بن حنبل الى الشافعي بمكة فسألتهُ عن أشياء ، فرجدتهُ

فصيحاً حسن البيان ، فصار فقراء أهله في جماعة من أهل الفهم بالقرآن أنه كان أعلم الناس في زمانه بمعاني القرآن وأنه قد أوتي فيه فهماً . فلو كنت عرفته للزمته . قال داود : ورأيته يناظر فحول أصحاب مالك »

وهذا أحمد بن حنبل ومقامه بين أئمة المسلمين معروف مشهور . ومكانه في العلم محفوظ مذكور بقول (لولا الشافعي ما عرفنا فقه الحديث)

وحبذا لو أطال الأستاذ شاكر في سيرة الشافعي وخرج — ولو قليلاً — عن الصفحات الثلاث التي كتبها في سيرته . ولكنا نستجيزه الوعد الذي أخذه على نفسه بكتابة سيرة جامعة خاصة في كتاب مستقل لهذا الامام الكبير . وفي المقدمة بعد ذلك تعريف بكتاب الرسالة وكيف ألفه الشافعي مرتين . وكيف أملاه على تلميذه الربيع إملاء . وهذا الاملاء ليس على اليقين ؛ فليس هناك ما يؤيده ولا ما يدل عليه . وانما بناه الأستاذ شاكر على الرجحان وليعذرنا في أن نخالفه فيما ذهب اليه فالدليل الذي أتى به لا ينهض وحده على رجحان الاملاء

ويذكر الأستاذ في الصفحة نفسها الاسم الأول للرسالة وهو (الكتاب) كما سماه الشافعي نفسه ويستنبط أنها سميت الرسالة في عصره بسبب ارسالها الى عبد الرحمن بن مهدي . ويعيب في — هامش الصفحة — على المتأخرين تسميتهم كل كتاب صغير الحجم بالرسالة ، محتجًّا بأن الرسالة من الأرسال . ويكرر فضيلته هذا الكلام في مقال له بالمقتطف عن كتاب مستند يعقوب ابن شيبة [المقتطف يونيو سنة ١٩٤١ . باب مكتبة المقتطف — صفحة ٧٨] . ويحيل القارىء للمقتطف على صفحة ١٢ من كتاب الرسالة التي فيها هذا الكلام . والحق ان تسمية الكتاب الصغير الحجم بالرسالة ليست (عرفاً غير جيد) كما يقول الأستاذ . فكل كتاب صغر أو كبر (يرسل) المؤلف فيه آراءه الى قرائه أرسالاً . ولا يحتجز تلك الآراء لنفسه أو بعضها لتحبس عنده . ومن هنا جاز تسمية الكتاب الصغير بالرسالة . وليس من الضروري ان يكون المقصود بالارسال الا ارسال الحي الذي فهمه فضيلة الشيخ الجليل

وفي المقدمة كلمة عن أصل الربيع الذي يوقن الاستاذ أنه كله مكتوب بخطه . وهذا الايقان لم يكن فيه صاحبه مستأثراً برأيه او منفرداً بحكمه ، ولكنه أشرك معه أحد أخوانه ممن لهم بصر بالخطوط لو علم بها فوافقه على الرأي الذي ارتآه ، وكم يكون جميلاً من الاستاذ لو انه أشرك معه أكثر من واحد فانا نعرف ان آراء خبراء الخطوط قد تختلف في مسألة يدلي فيها كل بما عنده . وفضيلة الاستاذ قاض جليل فما باله يأخذ برأي الواحد في هذه المسألة ؟؟

ويعود حضرته في صفحة ١٨ فيضيف دليلاً جديداً على أن هذه النسخة من الرسالة هي من املاء الشافعي نفسه . والدليل ان الربيع لم يترحم على الشافعي في كل موضع يذكر فيه اسمه .

وسيذكر كان جاء هذا الدليل في موضعه الأصلي مع أخيه الأول في صفحة ١٠ . وهنا يرد الاستاذ على من يشكون في تاريخ نسخة الربيع ويخص بذلك الدكتور (موريتز) الذي كان مديراً لدار الكتب المصرية وكان ذهب مذهبه . ويحتج فضيلته بحجج ، ويستشهد بصاحب صبح الأعشى وينشر لوحتين مصورتين للموازنة بين خط وخط [لوحة رقم ١٠ ، لوحة رقم ١١]

﴿ سماعات الكتاب ﴾ أثبت الاستاذ شاكر سماعات كتاب الرسالة مرتبة متسلسلة ، وحذف المكرر منها . وجعل للأعلام الواردة في هذه السماعات فهرساً مرتباً على حروف المعجم ثم ترجم لبعض الأعلام في هوامش المقدمة ، وبعض هذه التراجم موجز الإيجاز كله ، وبعضها جرى فيه الاستاذ على طريق الظن كترجمته للامير أبي الحرث عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ بقوله [يظهر انهُ ابن أخي الامير أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ] . وتحقيق الأعلام لا يأتي من طريق الظن أو اتفاق الاسماء . وقد يكون صنع الاستاذ أجمل لو انهُ جعل التراجم صفحات خاصة من الكتاب كما صنع الاستاذ الدكتور سامي حداد في اخراج مسند ابن شيبه

﴿ الرسالة ذاتها ﴾ تأتي بعد المقدمة والسماعات واللوحات رسالة الشافعي نفسها برواية الربيع ابن سليمان ، ويقع هذا الجزء من الكتاب في ستمائة صفحة لا تخلو واحدة منها من هوامش مملوءة بالتحقيقات الكثيرة والتعليقات المختلفة وردّ الآيات القرآنية الكريمة الى سورها أو موازنات بين نسخ الرسالة المطبوعة والمخطوطة وشروح لبعض غوامض الكلم مع ضبطها . ولقد يترك الله في نفس الاستاذ شاكر في الحواشي والهوامش لفحات صفحات كواملَ من الكتاب تحلاةً بقلمه [راجع ص ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣]

ولفضيلة الشيخ باع طويل في التحقيق والتدقيق ، وعمله في رسالة الشافعي هو شاهد على ذلك . هو يجمع الى مزية العلم وخاصية العبر على البحث فضيلة التواضع . رأيت في صفحة ١٥ أن الأجدر به ضبط كل آيات القرآن التي يذكر الشافعي على قراءة ابن كثير ، لأنها قراءة الشافعي ولكنه أحجم عن ذلك كما يقول بعض عبارته [إذ كان شاقاً عليَّ عسيراً ، لأني لم أدرس علم القراءات دراسة وافية] . وهذه العبارة أكبرت الشيخ في نظري . وجعلته من العلماء عندي في المحل الأوثق والمنزل الآكد

ومن فضائل الاستاذ في كتاب الرسالة تلك الفهارس المتنوعة التي عنى بوضعها وترتيبها تسهيلاً للباحث وتخفيفاً عليه . ففهرس للآيات القرآنية الواردة في الكتاب ، وآخر لأبواب الكتاب على ترتيبها ، وثالث للأعلام مرتبة على حروف المعجم ، ورابع للأماكن التي ذكرت في الرسالة مرتبة كذلك ، وخامس للمفردات المشروحة في الكتاب وشرحه ، وسادس للفوائد اللغوية المستنبطة من الرسالة

ويؤخذ لك الاستاذ أن تقف عند هذه الفوائد اللغوية وقفة قصيرة ، فبعضها يفيد لأنهُ ورد على وجه قوي أو استعمال غالب ، وبعضها لا يفيد لأنه ورد على أضعف الروايات في النحو أو أرقى اللغات . وما كان يجدر بمثل الاستاذ شاكر أن يتخذ من هذه الأشياء الضعيفة الشاذة شواهد على الصحة أو الكثرة الاستعمالية ، والاَّ أصبحت اللغة فوضى سائبة ، ونحن في النحو الحديث نحاول أن نوفق بين المذاهب المختلفة ونقضي على الآراء الضعيفة والمذاهب المتهاوية ليحل محلها رأي صحيح أو قول وجيه

ولقد عجبت أن يكون الشافعي وهو أفقه الناس بالقرآن وأفهم العلماء لسنة رسول الله — عجبت ان يكون ذلك الأمام ممن يجيزون في اللغة وراء مذهب فاسد ضعيف ، أو قول مريض عليل . وهو يعلم ان القرآن نزل بأفصح لغة وأسلم لهجة

وأعجب من ذلك كله ألاَّ يحمل الأستاذ شاكر ما شذَّ من كلام الرسالة على محمل الخطأ او الشذوذ أو الضعف — كما يقول في هامش صفحة ٦٥٩ . بل يجعل ذلك الشذوذ [شاهداً لما استعمل فيه وحجة في صحته] وهو مذهب غريب نوجرينا عليه وأخذنا به ما استبحنا لأنفسنا أن نقول في اللغة هذا خطأ وهذا صواب ، وهذا قوي وهذا ضعيف ، وهذه لغة وهذه لغيَّة وجاز لكل انسان أن يحذف النون في الأفعال الخمسة من غير ناصب ولا جازم ، لأن فعلين وردا على سبيل الشذوذ او الخطأ النسخي في كتاب الرسالة [مادتي١٦٨٦ ، ١٨٠٨] . وجاز أيضاً لكل من أسلك تلعاً أن ينصب اسم كان المؤخر بعد الجار والمجرور — كما يخطىء كثير من الناس في ذلك — لأن ذلك الاستعمال الشاذ الغريب ورد خمس مرات في النسخة الخطية من كتاب الرسالة التي كتبها الربيع .... [مواد ٣٠٧ ، ٣٤٥ ، ٤٤٠ ، ٤٨٥ ، ١٤٩٤]

وأشد من ذلك عجباً ان يحتج فضيلة الأستاذ مخرج الكتاب للشافعي بقوله في هامش صفحة ١٧٤ [والشافعي لنته يحتج بها . والذي يبدو لي أن تكون هناك لغة غريبة لم تنقل في كتب العربية من اللغات الشاذة ....] فضيلتهُ يقرف في هذه العبارة بشذوذ هذه اللغة ثم يجيز بعد ذلك استعمالها ويتخذ منها شاهداً ومستنداً على صحة استعمالها

وللاستاذ في تحقيق الكتاب وضبطه آراء وجيهة مقبولة ، ولهُ تعليقات لطيفة على ما ورد في النسخ المطبوعة الأخرى من الرسالة . الاَّ انهُ في قليل من الأحيان قد يتعصب لرأيه ويخطِّىء رأي غيره كتخطئته في هامش رقم ٧ صفحة ١٧٥ ورود الفاء في الفعل لزم من النسخة المطبوعة بالمطبعة الأميرية ببولاق . والصحيح أن الفاء في اول هذه الجملة ليست خطأ وموقعها هنا جميل وخاصة بعد قول الشافعي ثم [كانت لرسول الله في بيوع سوى هذا ٨ سناً كثيرة منها ... ومنها ... ومنها .... فلزم الناس الاخذُ بها]

وبعد فان كتاب الرسالة للامام الشافعي قد أولي من الخط كثيراً بقيام الاستاذ احمد محمد شاكر عليه وهو يقع في قرابة ثمانمائة صفحة من القطع الكبير وطبع طبعاً متقناً به في مطبعة مصطفى البابي الحلبي بمصر ، خرج سليما من ناحية ذوقه وفنه ، مضبوطاً محققاً من ناحية مادته وموضوعه . ولقد اقتضى اخراج هذا الكتاب العظيم ثلاث سنوات من جهد فضيلة الشيخ وكده وسهره وجده وذأبه ، وهُنَّ قطعة من العمر ، وحقبة من الدهر . فالله أسأل ان يبارك في حياة الاستاذ الجليل ليتحفنا دائماً ويُمتّع العقول والابصار بنتائج بحثه وثمرات درسه وعليه سلام الله ورحمته

محمد عبد الغني حسن

معجم الشذوذات

لاسماعيل مظهر صفحاته ٣٢ من القطع الكبير
مطبعة شركة فن الطباعة

وضع الاديب المدقق الاستاذ اسماعيل مظهر عضو المجمع المصري للثقافة العلمية السفر الاول من هذا المعجم الذي سماهُ معجم الشذوذات . وحبذا لو سماهُ معجم ذوات الذي لثقل هذا اللفظ ولا سيما انهُ قال في شرح مراده انهُ « السفر الأول في الطبقات العليا يتضمن الاسماء الاصطلاحية من ذوات الذي ... » الخ

وقال في مقدمة الكتاب « انهُ اول عمل من نوعه في اللغة العربية بل اول عمل لغوي علمي وضعت فيه مصطلحات جديدة على قواعد جديدة »

قال « على اني لم أشأ ان أخرجهُ الناس منذ ان (ولا لزوم للفظة ان هنا) أكملت موادهُ ... حتى أثبت أن الأسلوب الذي اتبعتهُ في تأليفه . . . هو غاية ما يصل اليه جهدي . . . وبوسع آفاق اللغة العربية المجيدة . . . » الخ

***

ولا ريب في ان هذا المؤلف على صغر حجمه — لانهُ مؤلف من ٣٢ صفحة من القطع الكبير — لقي فيه صاحبهُ من العناء ما لا يقدرهُ قدرهُ الا الذين عانوا مثله من المؤلفين فقد وضع امام كل اصطلاح عربي من اصطلاحات ذوات الذي الاسم العلمي المقابل له في اللاتينية (او اللاتينية كما سماها) او اليونانية القديمة (الاغريقية كما يسمونها) وهذا لا يقتضي الا العالم كثير البحث والتدقيق والعارف بأصول هذه الصناعة

والذي يلقي نظرة عاجلة ، على الكتاب يعلم منهُ الفرق بين الترجمة والتعريب مما حفيت في اباته أقلام المُعرِّبين على اللغة وألسنتهم فما أغناهم ذلك فتيلاً ولا يزال « أعلام » الكتّاب يقولون عن كتاب ترجموه انهم عربوه عفا الله عنهم وعنّا

(ن . ش)

تطريب العندليب

تأليف جبران النحاس — صفحاته ١٢٠ من القطع الكبير — مطبعة جريدة البصير

« من علامات الزمان » كما يقول الانكليز في بعض اصطلاحاتهم أن يأتيك كتاب أدب هدية من نجيب كبير فلا تستطيع قوة غير فيه او كلمة نقد في جريدة ما لانشغال الصحف في هذا الزمان بنشر اخبار الدمار والخراب

والكتاب الذي أعنيه الآن هو ديوان « تطريب العندليب » لناظمه جبران النحاس من الاسكندرية وفيه مختارات من « تعريبه » لأمثال لافونتين وغيرها

والناظم من تلاميذ الشيخ ابراهيم اليازجي وهو شاعر وناثر معاً لا تكاد تجد له خطأ لغوياً في نثره كما تدل مقدمة الديوان البديعة ولا خطأ في ديوانه وكله من الشعر الحر وأعظم ما نظمهُ من بحر الرجز . قال في مقدمته : —

« رغبت اول العمر في نظم الأساطير وما يسمونهُ « الشعر القصصي » وكان البعض يذهب في ذلك طريقة مخترعة على النواقي العربية لخرج قيودها . وانما هو وهم منشؤهُ اشتغال اصحابه بآداب الغرب عن غيرها والشواهد على نقيضه فوت العدّ

« وزيادة تلك الرغبة عندي قول امامنا اليازجي » :

« اذا لم يكن في الشعر ما يستفاد من حكمة او أدب ، او ما يعجب من ابتكار معنى او ابتداع نكتة وكان قصارى ما يدور عليه الوزن والتقفية ، فما أقلها جدوى فسير عليها الخواطر وتكد فيها الخواطر ثم لا يكون من ورائها الاّ أصوات يمكن أن يؤدي مثلها بقرع الدف ووقع مطارق الفصارين » انتهى

غير أن المرء في كهولته ينتابه من عهد الصبا ما يشبه عداد السليم ثم هو لا يبرح عرضة لذكريات مضت يرونهُ الالتفات اليها وان امضه الامس عليها لذا لم أتمالك اليوم من اختيار نبذة أجملها ذكرى لذلك العهد وطيه ولمن غابوا عن العين بمثيه » الخ . . .

وأكثر منظومات الكتاب مما أجري من النقاش والحوار على ألسن الحيوانات على مثال حكايات لقمان العربي ولافونتين الفرنسي . نقل على سبيل التمثيل النبذة التالية بعنوان العندليب وهي من بحر الخفيف وهي اول نبذ الديوان بعد الديباجة الشعرية :

كان في الروض العندليب بغى ملقياً من تغريده الف لحن
لاعباً ناغماً من الزهر الغض طروباً كالشارب المرجحن
يخلي طوراً ويسمع طوراً مشتكى الريح بين غصن وغصن
صوته والجناح في حركات مثل من أوقع الثناء بزفن

دنا لطريه الشباة عليه ربما فصل على الحي السنين بحجر
أخذوه فبات مستلاً في قصص مثل طائر في سجن
وهو يدري وما دروا ان في الرو ض تعازاً تدعو بباب الوكن
عادة الطير ان تغني فتبقى انما شاب صوته من حزن

والشعر كله على هذا المثال من دقة اللغة ورقة النظم والذهاب كل مذهب في المعاني والبيان والسمو الى البيع الشداد في البلاغة

وقد طبع الديوان اجمل طبع على ورق لا نجده في أرخى أزمان السلم والرخص وان وجدته حينئذٍ لم نختر مثله جودة لرغبة الناس عن الادب الى التشبث وعن كتب العلم واصلاح المآل الى الحرص وجمع المال

نجيب شاهين

كتاب كليلة ودمنة

طبعة ممتازة منهُ لمطبعة المعارف — صفحاته ٣٠٩

عرف القراء ان مطبعة المعارف في الفجالة لصاحبها الأديب شفيق نجيب مري أصدرت لمناسبة يوبيلها الذهبي طبعة ممتازة لكتاب « كليلة ودمنة » لتكون ذكرى تاريخية لهذا اليوبيل فضلاً عن أصح نسخة وأقدم نسخة لهذا الكتاب عثر عليها حضرة الفضال الدكتور عبد الوهاب عزام وبما قاله الدكتور عبد الوهاب في الكلمة التي قدم بها هذه النسخة أن الباعث على العناية بهذا الكتاب هو أن « قليلاً من الكتب نال من اقبال الناس وعنايتهم ما نال هذا الكتاب ، فقد تنافست الامم في أدخاره منذ كتب وحرصت كل أمة أن تنقله الى لغتها فليس في لغات العالم ذات الآداب لغة الا ترجم هذا الكتاب اليها وبحق عنيت الأمم بهذا الكتاب العجيب الذي يحوي من الحكم والآداب وضروب السياسة وأفانين القصص ما يملأ القارىء عبرة واعجاباً وسروراً . والامم العربية أولى أن تعنى بهذا الكتاب في لغتها وأجدر أن تهتم بتاريخه وتوضيحه ونقده لأسباب عدة أولها : ان النسخة العربية أصل لكل ما في اللغات الأخرى — حاشا الترجمة السريانية الأولى — والثاني من الاسباب ان هذا الكتاب كتب باللغة العربية في منتصف القرن الثاني من الهجرة فهو من أقدم ما بين أيدينا من كتب النثر العربي ، وأسلوبه مثال من أقدم أساليب الانشاء في لغتنا وهو لذلك جدير بعناية مؤرخي الأدب العربي والثالث انهُ نقل من الفارسية الى لغتنا — والرابع ان عندنا منه نسخاً مختلفة لا تتفق اثنتان منها اتفاقاً تاماً ويعظم الخلاف بين بعضها بالزيادة والنقص في بعض الأبواب وبعض القصص والامثال »

وقد ظهر ما يتجلى في كل صفحة من صفحاتها من مجهود كبير وهمة عالية وذوق سليم وسخاء مالي حتى جاءت طبعة الكتاب أجمل تحفة فنية من تحف الطباعة العربية في مصر وأصح دليل — اذا احتاج النهار الى دليل — على ما لمطبعة المعارف من قصب السبق في هذا الفن . فكيف أجمل القارىء طرفه في هذه التحفة وقع على آيات من الدقة والاتقان . فمن حروف تروق الدين لنقائها وحسنها ومن صحائف مطرزة باطارات ذات أشكال رقيقة حادثة . ومن صور ملونة اجتمع فيها الخيال الراقي والرسم الجميل والالوان الزاهية من صنع الفنان رومان ستريكالفسكي ومن تبويب وتنسيق يأخذان بمجامع القلوب

والكتاب مهدى الى جلالة الملك فاروق وقد رفعت الى جلالته نسخة مجلدة أنفس تجليد وصدّر هذه الطبعة حضرة الدكتور طه حسين بك بكلمة بليغة . وتلاها كلمة سهلة لحضرة الدكتور عبد الوهاب عزام عرض فيها تاريخ تأليف كتاب كليلة ودمنة في اللغة الهندية ونقله أولاً الى اللغة الفارسية ثم ترجمته الى العربية والى عدة لغات شرقية أخرى وغربية وما بذله من الجهد في الحصول على النسخة التي أشرنا اليها وقال انهُ كان ماضياً في البحث عن نسخ أخرى للمقابلة بينها فوقا مفاجأة الحرب ولكنهُ قابل بين هذه النسخة وما توفر له من النسخ فرأى أنها أقرب منها الى الأصل

فهذه الطبعة الممتازة علاوة على مزاياها الفنية قد أضبط نسخة من الكتاب وجدت حتى الآن . وحبذا لو طبعت منها مطبعة المعارف نسخاً رخيصة يقتنيها الجمهور . فلتنتهز هذه الفرصة لتكرر التهنئة لمطبعة المعارف بيوبيلها الذهبي ونتمنى أن تظل عامرة تقدم أجل الخدم للادب والعلم في مصر والشرق

ابن المقفع

لعبد اللطيف حمزة — صفحاتها ٣٣٣ من قطع صغير — مكتبة الجامعة بمصر

هذا الكتاب مما تنشره لجنة الجامعيين لنشر العلم ، وصاحبه من مدرسي اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب في مصر . وهو كتاب سوق على المنهج الحديث في التبويب والتأليف والمراجعة . ولما كان موضوعه ذلك الأديب البليغ الفذ : ابن المقفع رأى المؤلف أن يقدم بكلام مسهب على مكانة الشعب الفارسي بين الشعوب الاسلامية ، وأهمية العنصر الفارسي بين عناصر الثقافة الاسلامية ، وآثار الفرس الأدبية . وانتقل المؤلف بعد ذلك الى ترجمة ابن المقفع فذكر تفاصيل حياته وألوان أخلاقه واتجاهات نظره سواء الى المثل الأعلى او الدين او الاصلاح الاجتماعي ، ثم أقبل على دراسة أدبه وبحث آثاره وخصص فصلاً كاملاً لكليلة ودمنة

وختم البحث بالفحص عن تأثير ابن المقفع في الأدب العربي بين شعر ونثر وتفكير

والكتاب كله فقرات متلاحقة متلاحمة ، عرضها واضح وعبارتها فصيحة رشيقة ، وهناك فصل طريف كنا نحب ان نراه على تطويل واسهاب وهو الفصل الموقوف على النظر في أسلوب ابن المقفع و تلك ترى المؤلف يعرض لعبارة أو بضع عبارات من كليلة ودمنة أو غيره يفككها ارادة أن تجعلك تلمس خاصية التركيب البلاغي والأداء البياني ويعين لك أثر الفرس هنا ، أثر الحضارة هنا . ويخرج المؤلف من هذا التحليل اللغوي النحوي إلى مناظرة بين أسلوب ابن المقفع ومدرسته وأسلوب الجاحظ ومدرسته . فالأولى كما يرى المؤلف بحق تحمل صبغة بدوية وميلاً الى الايجاز وضرب الأمثال في حين أن الثانية تنزع الى الطراوة الخاصة بالمتحضرين وتجنح الى الاسهاب والتطويل

وأما بحث المؤلف في تآليف ابن المقفع من الناحية الفكرية فتظنهُ أقلَّ طرافة واكثر تمويلاً على ما تقدم من المباحث ولاسيما مقالات المستشرقين

بقي أن نذكر أن المؤلف لم يدخر جهداً في اخراج كتاب يكون مرجعاً ، ولذلك كثرت مصادره العربية والافرنجية . وللكتاب «كشاف» أو « مسرد » بأشهر الأعلام الواردة فيه

وهو مطبوع طبعاً متقناً على ورق صقيل ويطلب من مكتبة الجامعة لصاحبها محمد افندي يوسف بشارع محمد علي وثمن النسخة ١٢ قرشاً صاغاً بما فيها اجرة البريد

الوثائق التاريخية لعهد محمد علي

منذ عامين تقريباً أهدى اليَّ الصديق العزيز الدكتور اسد رستم استاذ التاريخ الحديث في جامعة بيروت الاميركية كتابه القيم « مصطلح التاريخ » وهو بحث في نقد الاصول وتحري الحقائق التاريخية وايضاحها وعرضها . وكان أول مؤلف حديث في موضوعه وقد شغلني الواجبات المتوالية فسبقني الى الكتابة عنهُ بعض زملاء المؤلف

وفي الشهر الماضي أخرج حضرة المؤرخ الفاضل برعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول المجموعة الاولى من الوثائق التاريخية الخاصة بعصر المغفور له محمد علي باشا فجاءت مرجعاً نفيساً يهتدي به المشتغلون بالتاريخ عند ما يتفرغون لبحث ناحية من نواحي حكم ذلك العامل العظيم

وتعتبر تلك الوثائق التي بحثها ولخصها الدكتور اسد رستم في مؤلفه من أهم اصول التاريخ للمنقب والباحث

فتلك الآثار في الدولة التي أقوض أن ابن بردة الى مجلس محمد علي باشا والمصادر حيثُ هي بلا شك في تاريخ تلك الحقبة من تاريخ مصر وسوريا وتركيا وبلاد العرب . وهي تكوّن لا جدال المواد الاساسية التي يقوم عليها المؤرخ اركان كتاباته

وهذا الوثائق التاريخي الذي أخرجه الدكتور اسد رستم ليس بأكورة نوالفه اذ سبقها غيرها منذ نشر الاصول العربية لتاريخ سوريا في عهد محمد علي باشا. وكان المؤرخون الاوربيون قد جعلوا اصول ومصادر هذه الحقبة من التاريخ المصري عن المحفوظات الاوربية من المراسلات التي كتبها ممثلو الدول في مصر الى حكوماتهم فتألفت منها عشرات من المجلدات النفيسة التي يعرفها كل باحث وهي مطبوعات الجمعية الجغرافية الملكية

واليوم وبرعاية حضرة صاحب الجلالة الملك فاروق الاول ظهر المجلد الاول من وثائق الشام بالمحفوظات الملكية المصرية. ومنها تؤلف النواة الهامة للمؤرخين الذين يرغبون في درس هذه الحقبة المجيدة من تاريخ مصر وسوريا

ومن تلك الوثائق ما لخصهُ الاستاذ اسد رستم بعد ترجمته الى اللغة العربية ملازماً الاسلوب القديم لأن الوثائق الاصلية مكتوبة باللغة التركية . وقد دوّن رقم كل وثيقة ومشتملاتها لكي يسهل الرجوع اليها

ونأمل ان لا تمضي مدة طويلة حتى نرى الاجزاء التالية من هذه المخطوطات النفيسة فينتفع بها عدد كبير من المشتغلين بالتاريخ المصري الصاغ عبد الرحمن زكي

سلطان الظلام

صفحاتها ٢٠٠ من القطع الوسط — طبع بمطبعة التوكل بالقاهرة

الاستاذ توفيق الحكيم من احرار الفكر العربي لو صح أن للفكر قومية ينتمي اليها أو وطناً يُنسب اليه . ومن الحق أن نقول أنهُ من احرار الفكر الانساني، لانهُ يذهب نفسه حسرات على مصير الفكير الحر الطليق الذي يصورهُ ذلك النضال العنيف القائم الآن بين الدكتاتورية والديموقراطية

وفي نهار هذه الحضارة الصناعية التي قدّر علينا أن نشهد غمارها ، وفي ضوء هذه المدنية الحديثة التي تلت ليل القرون الوسطى المظلم — في هذا الضوء الذي يكاد سناه يخطف الأبصار يتساءل توفيق الحكيم في حيرة ، ممهداً لكتابه الجديد سلطان الظلام : —

[ما بعد حضارة اليوم الحديثة ؟ ما مصير هذا النهار ؟ أترى مصيره مصير كل نهار ؟

هل نستطيع أن نقيم في الافق حيحافل الظلام دثيرة على هذا النوار ؟]

في التمهيد المبسوط لهذا الكتاب القيم تتجلى ومضات مشرقة من حرارة الفكر عند توفيق حكيم. الا أن هذه الومضات على التماعها وسطوع الاشراق فيها لا تخلو أن تكون سلسلة متصلة من مخاوف الكاتب على مصير الانسانية ، ومن خيبة أمله في الحضارة الحديثة ، ومن حشيته من طغيان الصناعة الكبرى على العهد العلمي الحديث كما طغى من قبل الكهنة والسحان على العهد الوثني فزلزل زلزالا شديداً

ويخشى الكاتب أننا سائرون القهقرى الى المجتمع البشري الاول الوثني حيث كانت أحلام الجماعات وأعصابها فريسة لسلطان الرجل القوي يخدرها ويؤثر فيها . فهذا الزعيم (المخدر) في العصر القديم والزعيم (المروّض) في العصر الحديث شيطان ، لا يكون في ظلالها مكان للكلام في الحرية (لان المروّض سجّان قبل كل شيء) والسجّان بالبداهة لا يحب أن تهمس شفتا سجينه بألفاظ الخلاص من القيود ، والانطلاق من الاغلال

وتوفيق الحكيم — حرًّا واسع حدود الحرية — ليس ممن يدينون بمبدأ (العلم للوطن) . لأن هذا يعني عنده خدمة الجيش والسكرية والاستبداد وسيادة الحقد والدم ولأن هذا المبدأ يدعو اليه « الزعماء المروّضون » الذين يمقتهم الحكيم كل المقت

وبالرغم من مخاوف توفيق الحكيم ووساوسه من سلطان الظلام الذي يهدد العالم من حين الى حين فهو مؤمن بأن (القيم التي كسبناها قد كسبناها) ومؤمن كذلك (أن الحرية والجمال الروحي والفني والفكر الطليق وحقوق الانسان ، كل أولئك أشياء لا يمكن للانسانية أن تتنزل عنها أو تنساها . قد تصطدم بها حيناً بعد حين عواصف القوى الأرضية ولكنها لن تستأصل جذورها التي تنمو وتمتد في أعماق النفس البشرية)

وهذا الايمان هو الذي يؤلب دائماً جيوش توفيق الحكيم الفكرية ، وهو الذي يدعوه دائماً — وهو من جنود القوى الروحية والفكرية — الى ان يثير الصفحات ويطلق الصيحات لتذكير النفس الانسانية بحريتها الموهوبة وتراثها العتيق في الانطلاق والانفلات من بعض القيود ، وحلحلة الحديد

(سلطان الظلام) كتاب الفهُ توفيق الحكيم في غربة عالية لم يَدَعْ فيها القَمَّ المثار — كليل منهاوي الكواكب — مجالاً للأحرار أن يتكلموا بكل ما في نفوسهم . فتى يأذن الله لهذه السحابة الغاشية أن تتكشف عن وضح الصبح المبين ؟ ؟ ؟

عبد الغني

باب الأخبار العلمية

فحص الدم

في الوالدين وأولادهم

قررت محاكم أميركا العمل بنتيجة فحص الدم في الوالدين وأولادهم في جميع المسائل الخاصة بالوراثة وخطف الأولاد، وسائر وجوه الخلاف على البنوّة. وجدث في شيكاغو منذ بضع سنوات ان أهل طفلين في مستشفى تنازعوا على هويتهما فتقررت هذه الهوية بامتحان الدم وأعيد كل منهما الى والديه وكان رجال المستشفى قد أخطأوا فيها فسلّموا كلاً منهما الى غير والديه

وطريقة فحص الدم هذه مبنية على أن في الدم الانساني احدى مادتين اسم احداهما اجلوتينوجين A والاخرى اجلوتينوجين B أو المادتين كليهما او قد يخلو من الواحدة او الاخرى او الاثنتين معاً فان خلا الوالدان من هاتين المادتين استحال وجود احداهما او كليهما في اولادهما فان لم يتحتم وجد احدى هاتين المادتين فلا يمكن ان يكون ابن هذين الوالدين

وهذه الطريقة لا خلل البتة فيها ولكن قد تعرض حوادث لا يمكن تطبيقها عليها. مثال ذلك اذا اتهم رجلان بأنهما والدا ولد ما واتفق انهما كليهما داخلان في «مجموعة» الدم الواحد كما يسمونها فيستحيل بهذه الطريقة اثبات اي منهما هو والد الولد. وقد ظهرت هذه النتيجة في خمسين في المئة من القضايا المتنازع عليها. وبعبارة أخرى ان هذه الطريقة تستطيع ان تثبت لنا ان طفلاً ما ليس ابن رجل ما ولكنها لا تستطيع ان تثبت لنا انهُ ابنهُ اذا كان ابنهُ حقًّا. ولكن يمكن اثبات البنوة بفروق أخرى مثل لون العيون فانهُ يجري على قواعد وراثية معينة ومثل ملامح الوجه وبعض عيوب الخلقة التي ثبت أنها تورث ولكن هذه الطرائق خالية من التدقيق العلمي اللازم

مرض هيجن الرائحة

ظهر ان نبات الورد يصاب بداء عياء يتلفه ولكنه حسن الرائحة الاّ في انوف مريبه الذين ينتفعون به وقد وجد لحسن الحظ ان هذا الداء يقتل بعض أصناف النطريات

الطيارات في الحرب العالمية الماضية

ظهر من الاحصاء في آخر السنة الأولى من الحرب العالمية الماضية انهُ من كل مئة طيار قتلوا في السنة الأولى مات اثنان بفعل الاعداء وثمانية بخلل في الطائرات و ٩٠ بخلل في أشخاصهم

البرد في القطب الشمالي
كان أخف مما هو الآن

يقول عالم أميركي ان الامكنة والجمد يغطي أرضها على مدار السنة ، كانت حرارتها فيما مضى مثل حرارة أميركا الآن وان أشجار المنطقة المعتدلة كانت تنمو فيها وفي جرينلندا وشمال سيبيريا . وقد بنى حكمه في هذا على اكتشاف بقايا الأشجار المشار اليها شمالي الدائرة المتجمدة قال انها من بقايا عصر الايوسين منذ نحو ٥٨ مليون سنة ، وهذه المدة تعد وجيزة في حساب الجيولوجيين . وقد عرض في مقال نشره صور البقايا المتحجرة من تلك الأشجار ومعها صور هذه الأشجار التي تنبت الآن في الأقاليم المعتدلة

ويقول في مقالته هذه انهُ مرت عشرات الملايين من السنين وعلاقة اوربا واميركا الشمالية بالقطب الشمالي والمحيطات كما هي الآن وقد جعلت الغابات « تهجر » جنوباً طبقاً لتغيرات الاقليم في قارات ثبت هواؤها على مرّ العصور والدهور

تغيير جنس بعض الحيوانات
بعد الولادة

جرّب البروفسور مور من جامعة شيكاغو تجارب علمية في حيوان البوسيوم من حيوان القنفر (الكنجارو) تتمكن من تغيير جنسها من الذكورة والانثوية ، وسلوم ان هذه الحيوانات تولد في حالة يصفونها بالناقصة او غير الكاملة تضعها أمهاتها حالاً بعد ولادتها في جيوبها كما هو معروف حيث تبقى اكثر من شهرين لاتمام نقصها . وهذه الحيوانات تسكن في استراليا دون غيرها

***

وقد اتضح للبروفسور مور ان هذه الحيوانات تولد ناقصة كذلك من الناحية التناسلية أي ان لها اعضاء للتناسل ولكنها ناقصة ولا تظهر عليها نهائيًا علامات الذكورة أو الأنوثة الاّ بعد ولادتها بيومين أي في اليوم الثالث من الولادة بل بعد ذلك . فعالج ذكورها وأناثها من جراء سنها بين ثلاثة أيام وستة يوم بمستحضرات غدد الذكور او الأناث من الهرمونات بالحقن او بمزج المستحضرات بمواد دهنية وفرك جلود الحيوانات بها . فظهر له ان الجنس يتعين فيها من اليوم الثالث بعد ولادتها حتى يتعذر تغييره بهذا العلاج ولكن بعض التغيرات تطرأ على أبنية الجنس الثانوية حتى ان هرمونات الانثوية جعلت صفات الذكور تنتقل الى ناحية الأناث والعكس

انقاذ مرضى السرطان الى الراديوم

ان مرضى السرطان ضروريون من ضرب الطائرات الالمانية لمستشفيات مدن بريطانيا المختلفة لما قصد في هذا الضرب من الراديوم الذي يعالجون بأشعته في بريطانيا كلها نحو ٢٨ جراماً من الراديوم وهذا المقدار هو اقل من نصف ما في أميركا منهُ ومعظمهُ موجود في خمسة مستشفيات كبيرة في لندن ومستشفى في منشستر وهو الآن مخزونهُ في أقنية لا تخترقها القنابل

ثم ان الراديوم يحتفظ بهِ لا لعلاج السرطان فقط بل لان في فقده تهديداً لنفوس الملايين من الخلق ولاسيما اذا اتصل بماء الشرب او الطبخ او بهواء التنفس . ويقدر ثمن الرطل منهُ بمئات الألوف من الجنيهات ولكن دقيقة صغيرة منهُ تقتل الجسم الانساني

وفعله في الجسم يشبه فعل الكلسيوم اي ان تيار الدم يلتقط الراديوم ويحمله الى العظام ليرسب فيها ولكن أشعته الشديدة تهاجم العظام وتفتتها ولا يمكن صدّ هذا الفعل وكل ما هنالك انهُ يؤخر بالمعالجة بنوع من الفعل يزيل بعض الكلسيوم من العظام ومعهُ يخف الراديوم الراسب فيها . ولكن لا بد من موت الطفل عاجلاً او آجلاً . وفي العالم كله رطلان منهُ تنهبها نحو خمسة ملايين جنيه أي ان العالم يفتقر الى اكثر من الموجود منهُ

فحص الرمم في مصر القديمة

فحص الاطباء مومياء تاجر مصري عاش قبل المسيح بنحو الفي سنة واسمه « واه » وبدأوا بفحص خصلاته فحصاً كيميائياً فوجدوا ان في أوردته دمًّا من صنف E ويقول الدكتور كنديلا الكندي «ان مصر الحديثة هي من أعظم مراكز هذا الصنف ولكن الأصناف الثلاثة الأخرى موجودة فيها »

وكان هذا الطبيب قد فحص عظام مصريين قدماء وعضلهم ممن عاشوا في نحو ذلك الزمان او بعده بقليل فقال ان طريقة الفحص التي اتبعها مع هؤلاء لم تنجح مع التاجر المصري « واه » فعمد الى وسيلة أخرى

وفحص مومياءهُ بأشعة إكس بعد رفع اللفائف عنها لمعرفة الجواهر الذي ربما دفنت معها

جزء من مليون من الثانية

ليس في وسعنا تصور جزء من مليون من الثانية ولكن المهندسين الأميركيين اخترعوا أنبوبة جديدة من أنابيب أشعة اكس يمكن بها التصوير الفوتغرافي هذه المدة في معدل جريدة أميركية هي أقل من جزء من عشرين الفاً من طرفة العين فوصفنا السرعة بانها مثل طرفة عين وصف خال من كل تدقيق وهي سرعة بطيئة جداً بازاء جزء من مليون من الثانية

سرعة الطائرات

سؤال يجب الجواب عنه

صنعوا في أميركا طائرات يمكن ان تقطع ٧٠٠ ميل في الساعة ولكن هذه السرعة عدّ تجربتهُ ذات خطر شديد على الطيارين . أي ان الطيار في طائرة مثل هذه يستطيع ان يهبط من ارتفاع ٣٠ الف قدم — أعلى قمم جبال جلايا بين ٢٠ ثانية او ٣٠ وعند وصوله الى سطح الماء لايجد وقتاً كافياً يمنع به طائرته من الغوص في الماء واذا نزل الى سطح الارض تحطمت طائرته وتحطم هو معها

وعلى ذكر سرعة الطائرات سألت جريدة انكليزية قرائها منذ مدة طويلة هذا السؤال

« لو تمكن الانسان من اختراع طائرة سرعتها سرعة دوران الأرض مع محورها أي الف ميل في الساعة فما هي الظاهرة الغريبة التي تحدث لطيار اذا طار شرقاً مع دورة الأرض أو غرباً ضدها »

وتذكر انهُ لم يجب أحد عن هذا السؤال جواباً صحيحاً . وقد أرادت الجريدة أن تعلم بعبارة أخرى انهُ اذا خرج الطيار ظهراً من القاهرة مثلاً واتجه شرقاً فاذا يكون الوقت في المكان الذي يبلغهُ بعد قطع الف ميل . ومثل ذلك غرباً

فما رأي دارسي الفلك من قرائنا في ذلك

الاصوات وسرى سمعها

يقول الانكليز والفرنسيون البعيدون عن منطقة خليج المانش أنهم يسمعون قصف المدافع التي تطلق فيه ومن جانبيه . ومعروف عند العلماء ان قصف المدافع وصوت انفجار البراكين يمكن ان يسمعا من مسافة ٣٠٠ ميل والغالب ان هذه الاصوات تكون أكثر جلاء في الصيف غرباً وفي الشتاء شرقاً . ففي صيف ١٩١٨ سمعوا في انكلترا صوت قصف المدافع في فلاندر البلجيكية ولم يسمع في المانيا وسمع الالمانيون صوت القصف شتاء ولم يسمعهُ الانكليز

سرعة سير السركند

السركند بطيء الزحف كالسرطان والسلحفاة ، ومع ذلك فقد جرّب عالم اميركي التجارب في مدى المسافة التي قد يقطعها السركند (او الجربي الكبير) فأخذ واحداً وأطلقهُ في خريف سنة ١٩٣٩ في ميناء بوث من ولاية فاين الأميركية ثم وجدهُ على بعد ٥٤ ميلاً الى الجنوب ووجد بالحساب انهُ كان يقطع نحو ميلين في اليوم الواحد

التحكم في الازهار

تمكن عالم اميركي بتجاربه من التحكم في وقت إزهار بعض النباتات فجعل بعضها يعجل في الازهار من سنة الى نصف سنة ونتيجة ذلك رخص ثمن بعض الازهار العطرية المطلوبة لرائحتها ومنظرها . ومن هذه التجارب تغيير نوع السماد الذي أُسمِّد به ولا بعد لذلك ان يستطيع العلماء تعجيل زمن الاثمار بعد الازهار فلا تنقطع الاثمار بل تبقى على مدار السنة

العواطف والبصر

أيدت مباحث العلماء ما قيل منذ زمان طويل عن تأثير بعض الشهوات الشديدة مثل شهوة الخوف وشهوة الغضب في البصر وأثبتت ان قوة الابصار لا تكون واحدة في حالتي الهيج والسكون بل ان الشهوات الشديدة « تعمي » البصر بمعنى ان الرجل يرى في حالة سكون العواطف ما لا يرى في حالة هيجانها . وان كثيراً من حوادث التصادم في الطيران يحدث والطيارون عائدون من طيران طويل وعنيف

ولذلك يشيرون بفحص عيون الطيارين قبل استخدامهم في الرحلات الطويلة

المناعة الدائمة من الرفتيريا والكزاز

اكتشفت كلية الطب في جامعة كليفورنيا مادة أو مصلاً اذا حقن به الأولاد وقاهم الدفتيريا والكزاز طول عمرهم . وهذه المادة هي مكروبات الداءين ومعالجتها بحيث يتكوَّن منها مصل شاف يتكوَّن من التوكسيد المتخلف عنهما ويحقن المصابون بمزيج منهما . وقد جرب بنجاح لأكثر من مرة في ٤٠٠ ولد . والجديد في هذا الاكتشاف الحقن بالمزيج . أما الحقن بمصل كل منهما فمعروف في الطب منذ عهد طويل كما هو مشهور . ومزية الحقن بالمزيج هي ان مصل الداءين مستقلين يحقن به ثلاث مرات في حين ان حقنتين من المزيج كافيتان

وفي الكزاز لا تعدُّ حقنة الأنسولين المعروفة سوى تدبير يقي ونتيًّا من انتشار سم الداء في الجسم وأما الحقن بالمزيج ، فتدبير يمنح المحقون مناعة دائمة

الحرير تحت الشمس

عرف اليونانيون القدماء مبادىء الآلة البخارية ولكنهم لم يستخدموها في الأعمال الجدية بل كلعبة لفتح ابواب هياكلهم واستخدموا في الملاهي آلة أخرى تشبه السيارة الحاضرة في مبدأها

تعليل غير كاف للاحلام

قال طبيب من نيويورك في مجلة طبية اميركية : ليس الحلم حادثاً خارق الطبيعة . ولكنهُ مع ذلك قد يتضمن شيئاً من الانذار بالغيب بمعنى انهُ قد يبين لنا شيئاً نحاول الوصول اليهِ ونحن مدركون لذلك او غير مدركين له

«ودرس الأحلام يجب فيهِ درس أمرين: الاول الحلم نفسه كما يتذكرهُ النائم عند تيقظه. والثاني مناهُ المخبوء في العقل الباطن ولكنهُ مشوه بأمور كثيرة . والوصول الى هذا المخبوء يجب علينا ان نعود الى زمان طفولتنا ونراجع نمونا العقلي ونحن أطفال. والطفل في نموهِ هذا مضطر دائماً الى كبح جماح ميولهِ النفسية والأنانية المتسلطة عليهِ والمذخورة في عقله الباطن الذي يسطّر كل كبيرة وصغيرة منذ يوم الولادة الى يوم الممات . وضمائرنا تتكرعلينا تلك الميول النفسية فتبدو مشوهة ومستورة فالأحلام أفضل وسيلة لدرسها واظهار رموزها.

« وقد ترمز الاحلام الى التقوط بلفظة تخين والى الدولارات بهائيل بخيرة من الجنود والى الف دولار بيانو كبير ( ) . ومن وظائف الحلم ابقاؤنا نائمين . واذا عطشنا ليلاً فاننا نحلم بأننا شربنا مراراً من غير ان نرتوي وهكذا يبقى نياماً حتى يشتد بنا العطش فنوقظنا

وكثيراً ما يشتهي الحالمون اشياء تضرهم ولا تنفعهم واشياء تؤلمهم لأن فيهم ميلاً الى معاقبة أنفسهم . وكثيراً ما نجد العقل الباطن اعظم ادراكاً لمصالحنا من العقل الظاهر فاذا حقنا في احلامنا طوره مرض علينا كان ذلك الخوف مبنيًّا على علمنا المذخور في عقلنا الباطن بأننا مهددون بالمرض أو بأننا أخذنا نصاب به

وينجم الحلم أحياناً عن تخمة أو برد الرجلين ولكن الميول المذخورة في العقل الباطن هي التي تعين محتوياته لا التخمة ولا برد القدمين

ويدل بعض الدلائل على ان الانسان يحلم ما دام نائماً وانه انما يتذكر جزءاً من أحلامه

صمغ الاذن وطنينها

ينتج صمغ الأذن من افراز الغدد الحلوية لهُ ويسمى في الانكليزية بالشمع وذلك عند نهج الغدد . ومهما غسل الاذن فان غسلها لا يحول دون ذلك الافراز ودون تجمع الصمغ في الاذنين فينتج عن هذا التجمع طنين يحسبهُ البعض ناشئاً عن تحدث أصحابهم حديثاً حسناً عنهم وصلهم بطريق التليباثي (انتقال الافكار)

والواقع ان هذا الطنين قد يكون أول اعراض التهاب في الأذن الوسطى او الأذن الداخلية ونذيراً بوجوب معالجة هذه او تلك حالاً

فهرس الجزء الثاني

من المجلد التاسع والتسعين

صفحة

٨٩ هذه الحرب العظيمة

٩٥ محطة الاحياء البحرية : لحامد عبد الفتاح جوهر

١٠٥ الدار الاسلامية في مصر : لنصاغ عبد الرحمن زكي

١١٣ السلع التجارية الشرقية ورواجها في ديار الغرب : بقلم و. التميمي

١٢١ مفارقات (قصيدة) : لخليل شيبوب

١٢٢ القمبريون : للاب انستاس ماري الكرملي

١٢٧ سقوط الشعر : للدكتور عبده رزق

١٣٢ رحلة ابن بطوطة : لمحمود مصطفى الدمياطي

١٣٦ عودة الملاح (قصيدة) : لامين محمود طه

١٣٧ عينان مسحورتان (قصة مصرية) : بقلم محمود كامل المحامي

١٤٦ ضغط الدم : للدكتور ابراهيم ناجي

١٤٩ أحدث وسائل الاضاءة : لنوفل جندي

١٥٤ اللغات السودانية الشرقية : للدكتور مراد كامل

١٦٣ بقاع الجمال وأثرها في الشعر والأدب : لمحمد عبد الغني حسن

١٦٩ حديقة المقتطف أرنست رينان * . في نديّ مدام دو دوفان : لكامل محمود حبيب. فجر القبرة : لخليل هنداوي

١٧٧ باب المراسلة والمناظرة * شيء حول تشرتشل : لعبد اللطيف غزالي . ابحاث على النفس : للانسة أمينة شاكر فهمي . عقيدة الوالد لشبنجلر : للسيد أبو النصر أحمد الحسيني الهندي

١٨٣ مكتبة المقتطف * كتاب الرسالة : لمحمد عبد الغني حسن . معجم التعديات : ن.ش. تقريب التهذيب لنجيب شاهين . كليلة ودمنة لابن المقفع . الوثائق التاريخية لسعد محمد علي ، الصاغ عبد الرحمن زكي . سلطان الظلام

١٩٤ باب الاخبار العلمية * لحم الدم في الوالدين وأولادهم . مرض حسن الرائحة . الطيران في الحرب العالمية الماضية . البرد في القطب الشمالي . تشبيه جنس بعض الحيوانات . انتشار مرض السرطان الى الراديوم . الحبر السري في مصر القديمة . جزء من مليون من الثانية . سرعة الطائرات . الاصوات ومدى سمعها . سرعة سير الكهربائية . التحكم في الازهار . المواطف والبصر . الساعة الدائمة من الدنيريا والكرنز . لا تجديد تحت الشمس . تعليل ذوبان الثلج للاعلام . صنع الاذن وطنينها

مخطط منزل جمال الدين الذهبي

[انظر مقال «الدار الاسلامية في مصر» صفحة ٢٩٧]